الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية الآداب واللغات
قسم الآداب واللغة العربية

# تمظهرات الأنا و الآخر في رواية "2084، حكاية العربي الأخير" للروائي الجزائري واسيني الأعرج

مُذَكِرَة مُقَدَّمَة لِنَيْل شَهَادَة الماستر في الآدَاب واللُّغَة العَرَبِيَّة
تَخَصُّصْ: النقد الأدبي

إعداد الطالبة:
صورية لعور

إشراف الدكتور:
جمال مباركي

لجنة المناقشة

| أعضاء اللجنة | الرتبة العلمية | الصفة |
|---|---|---|
| سامية بوعجاجة | دكتورة | رئيسا |
| جمال مباركي | دكتور | مشرفا ومقررا |
| صفية علية | دكتورة | مناقشا |

السنة الجامعية: 1437هـ/1438هـ
2016م/ 2017م

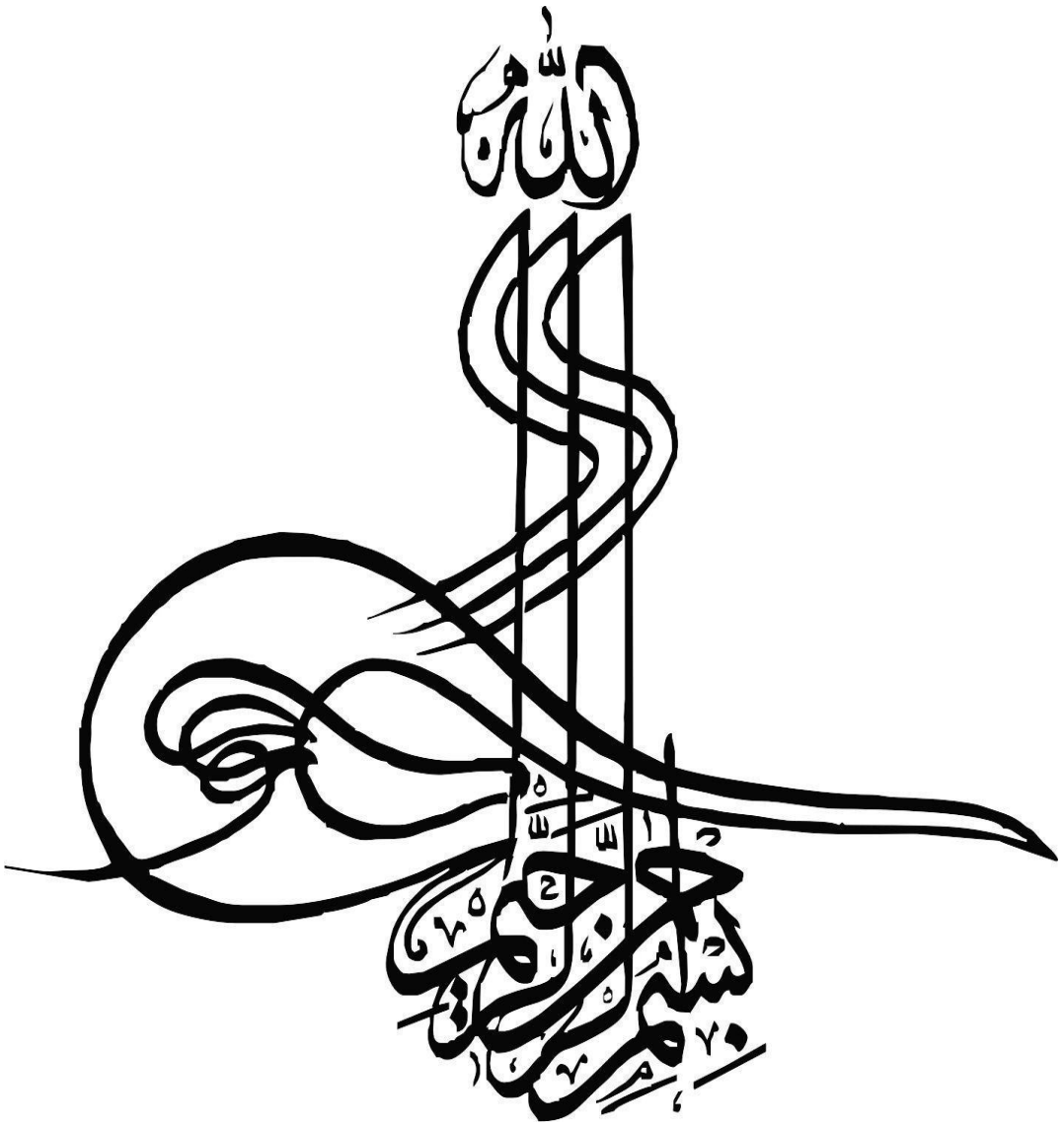
الله
بسم الله الرحمن الرحيم

# إهداء

إلى روحي والدي الكريمين –رحمهما الله، وأسكنهما فسيحجناته–، عرفانا بفضلهما وامتنانا على ما زرعاه فيّ من حب للخير والعلم.

إلى من أحمل له الحب الكثير والاحترام الكبير، نبع الحنان والعطاء، رمز الوفاء والأمان، سندي، ملهمي، اعترافا بسعة صدره وقوة صبره وتحمل انشغالي عنه، زوجي الكريم صحراوي السعيد.

إلى زهور الأمل، ملائكتي، أبنائي: أسماء، إسراء، إسلام.

إلى من أجد نفسي بينهم، وأنعم بدفئهم وأرتوي من حنانهم

إخوتي: فتيحة، شهرزاد، وهيبة، فريد ، سامي

إلى كل من عرفت ومن وسعه قلبي

أهدي هذا الجهد المتواضع....

صورية

# شكر و تقدير

أول الشكر و أعظمه ،استحقه الله –عزوجلّ– الذي وفّقني لإتمام هذا العمل فيسّر لي أمري ،وألهمني الصّبر و القوة لتذليل الصعوبات .

و أتوجه بخالص شكري ،وعظيم امتناني إلى أستاذي الفاضل الدكتور :جمال مباركي ،لما وجدته فيه من جهد مخلص ،و عطاء متميز ورحابة صدر ،ولما قدّمه لي من توجيهات ،ونصائح سديدة ،وملاحظات مثمرة ، ومراجع عديدة ،فاستحق بذلك الشكر و العرفان .

ولايفوتني أن أشكر كل القائمين على حقول العلم و المعرفة والبحث العلمي ،الفضلاء أساتذة جامعة محمد خيضر–بسكرة–رئاسةو عمادة ،وإدارة و عمالا ،ومكتبيين ،خاصة قسم اللغة العربية وآدابها ،حملة العلم و حراسه.

والشكر الموفور إلى الأساتذة الموقرين في لجنة المناقشة ،رئاسة و أعضاء لتفضلهم بقبول مناقشة هذه الرسالة ،فهم أهل لتقويمها و إماطة اللثام عن قصورها .

و يطيب لي أن أشكر كل من شدّوا أزري ،و شاطروني أمري ،وشاركوني عملي فلولاهم لما رأى عملي النور ،على رأسهم زوجي الكريم صاحب العطاء بلا حدود ،و التميز المشهود ،فله منّي أسمى آيات الشكر و الامتنان .

مُقدّمَة

## مقدمة

قضية وعي الذات و الآخر من أشهر المقولات التي سادت في الفكر الإنساني منذ القدم، ولازالت تتوالد وتتشابك، وقد احتضنت الرواية العربية والمغاربية هذه الاشكالية، وكانت مناخا خصبا لنمائها وتعقدها. فالرواية العربية، ومنذ محاولاتها الأولى شكّلت مسرحا فسيحا لها بما تعنيه من استيعاب للغرب والذات العربية ،على نحو الطهطاوي، ومحمد المويلحي، وأحمد فارس الشدياق، وغيرهم،طبع فيها اللقاء بين الشرق والغرب بطابع الرؤية الانبهارية بمنجزات الآخر، ثم تواتر النتاج الأدبي شعرا و نثرا إثر تصاعد الصراع الحضاري بين الطرفين، مصبوغا برؤية حضارية تقر بتفوق الآخر ماديا وتقنيا وحضاريا، نجدها عندكل من توفيق الحكيم، سهيل ادريس، يحيى حقي ،والطيب الصالح وآخرين، ومن الطبيعي أن يزداد طرح هذه القضية خصوصا بعد أحداث سبتمبر 2001 حيث عرفت الرواية التي تبنت هذه القضية باسم رواية الصراع الحضاري

وتحسن الاشارة إلى احتفاء النقد العربي بهذا الموضوع يذكر منهم على سبيل التمثيل وعي الذات والعالم لنبيل سليمان، الذات والمهماز لمحمد نجيب التلاوي، العرب والغرب في الرواية العربية لحسن عليان، وغيرهم كثير.

يسير هذا البحث المعنون بـ: تمظهرات الأنا والآخر في رواية 2084 حكاية العربي الأخير على خطى المؤلفات المذكورة، مغترفا منها في محاولة للكشف عن حضور الطرفين في ثناياه، كما يهدف إلى رصد نوع من العلاقة المؤسسة بينهما.

وقد وقع اختياري على هذا الموضوع رغبة مني في تتبع جذور الصراع الحضاري بين القطبين ونتائجه، ورصد رؤى الأدباء العرب في نقدهم للذات والآخر، على رأسهم الروائي المبدع واسيني الأعرج في روايته 2084 حكاية العربي الأخير، وللإجابة عن جملة من التساؤلات منها:

-كيف تجلت الأنا العربية والآخر المختلف في هذه المدونة الروائية؟

-إلى أي مدى كان المبدع موضوعيا في رسم صورة الطرفين؟

-وعلى أي أساس تم اللقاء بين الأنا والآخر؟ هل كان صداميا عنيفا محكوما بنظرة الاستعلاء، والتسلط ،أم كان ايجابيا يؤطره التسامح والتلاقح والتعايش؟

كل هذه الأسئلة نحاول الإجابة عنها في متن هذا البحث.

ينقسم البحث إلى فصلين اثنين يتقدمهما مدخل، وتذيلهما خاتمة، متبوعة بملحق ثم قائمة المصادر والمراجع المعتمدة وآخرها فهرس الموضوعات.

خصص المدخل للجانب النظري، و فيه تعريف بمصطلحي الأنا والآخر في النص القرآني، وفي اللغة والاصطلاح، وفي حقلي الفلسفة وعلم النفس، كما ضم تعريفا بماهية الصورولوجيا، وعلاقتها بثنائية الأنا والآخر.

في الفصل الأول: رصدت تجليات الأنا في المدونة الروائية، حيث تنوعت بين المفكك، المخدوع، المغترب نفسيا، المتحضر، المتفوق رياضيا، الثقافي.

وفي الفصل الثاني: تتبعت تجليات الآخر الذي ظهر في صورة: الاستعماري المدمر، العدمي اللاإنساني، العنصري، المفكك، الشاذ جنسيا، الضحية، المتحضر تكنولوجيا، والانساني.

وقد أنهيت الدراسة بخاتمة، عددت فيها أبرز النتائج التي توصلت إليها.

وقد اقتضت الدراسة توظيف المنهج الموضوعاتي، إذ اعتمدت التحليل، تحليل المتن الروائي واستحضار دلالاته، للوصول إلى استخلاص النتائج، إلى جانب المنهج النفسي لتفسير سلوكيات الشخصيات والمنهج الجمالي للكشف عن الطريقة التي تشكل بها الغرب جماليا في هذا النسيج الروائي على مستوى المضمون والصياغة، بما يحتويه من مقبوسات وتداخلات نصية مع الرواية الغربية.

اعتمدت في هذا العمل مصدرا أساسا هو الرواية موضوع الدراسة، إلى جانب مراجع مهتمة بدراسة ثنائية الأنا و الآخر(الشرق/الغرب) منها : الغرب في الرواية العربية الحديثة ل د: جمال مباركي ،التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر ل:د أحمد ياسين السليماني، إشكالية الأنا و الآخر (نماذج روائية عربية ) ل:ماجدة حمود، الرواية العربية المعاصرة و الآخر ل:د،نجم عبد الله كاظم، و كتب أخرى.

وككل طالب باحث ، واجهتني بعض الصعوبات إذ لا يخفى أن هذا المنهج منفتح على مناهج نقدية عديدة: كالنفسي والتاريخي والاجتماعي، لذلك كان تطبيقه بدقة أمرا صعبا، ضف إليه غنى الرواية وتشعبها فكريا، فهي بدورها منفتحة على عوالم علمية كثيرة منها، الفلسفة، علم النفس، التاريخ، العلوم الدقيقة، الانثروبولوجيا ،مما استدعى الخوض في هذه العلوم، زد عليه كبر حجمها وتلون صور الأنا والآخر فيها.

ولا يفوتني أن أقدم خالص شكري وامتناني إلى أستاذي الفاضل الذي كان خير سراج منير،ولم يبخل علي بتوجيهاته و نصحه السديد،- جازاه الله عني كريم الجزاء-كما أشكر أعضاء اللجنة المناقشة الذين تحملوا مشقة وعناء قراءة هذا العمل المتواضع وتقويمه وتهذيبه.

وأخيرا لا أدّعي الكمال ولا الالمام، غير أني قد بذلت في هذا العمل جهدا كبيرا وعناء وفيرا، وساعات من الاطلاع والدِّرس، آملة أن يجد فيه غيري اضاءات لبعض أسئلتهم.

والله المستعان

# مدخل

أولا: في ماهية الأنا و الأخر

1- الأنا والآخر في النص القرآني

2- الأنا والآخر لغة واصطلاحاً

2-1 الأنا لغة

2-2 - الأنا اصطلاحاً

2-3-الآخر لغة

2-4- الآخر اصطلاحا

3-الأنا و الآخر من منظور نفسي

3-1-الأنا من منظور نفسي

3-2-الآخر من منظور نفسي

4-الأنا و الآخر من منظور فلسفي

4-1: الأنا من منظور فلسفي

4-2- الآخر من منظور فلسفي

ثانيا: في ماهية علم الصورة (الصورولوجيا)وعلاقته بثنائية الأنا والآخر

## أولا :في ماهية الأنا والآخر:

### 1- الأنا والآخر في النص القرآني:

يقر النّص القرآني بثنائية الأنا والآخر ويؤكد وجود تمايز واختلاف بينهما، فقد وردت لفظة الأنا في مواضع كثيرة، منها قوله تعالى: «**قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ**»[1]هذه الآية دليل قاطع على رفض إبليس السجود طاعة لأمر الله واحتراماً للإنسان وتؤكد على وجود أنا (شيطان)، في مقابل الآخر ( الأنا الآدمية)، فخطاب إبليس ينم عن رفضه للآخر، على تعاليه وعلى حقده على الأنا الإنسانية، *ومن هنا ربما جاء تعوذنا من كلمة «أنا»*

وفي قوله عز وجل: «**وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا**»[2]هي قصة صاحب الجنتين، الكافر الذي أغوته الدنيا فركن إليها، واغتر بماله وبنفره، فافتخر على المؤمن (الآخر)، الذي أنفق ماله في مرضاه الله ابتغاء وجهه الكريم.

في الآيتين السابقتين إثبات لثنائية الأنا والآخر، القائمة على التضاد والصراع الأزلي بين الحق والباطل، بين الضلالة والهدى، بين الإيمان والكفر.

أما الآخر فقد جاء ذكره في الآية الكريمة: «**إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآَخَرِ**»[3]في إشارة إلى قصّة قابيل الذي شعر بالإقصاء والتهميش، فسولت له نفسه قتل أخيه هابيل الآخر.

---

(1)- سورة الأعراف، الآية 12.

(2)- سورة الكهف، الآية 34.

(3)- سورة المائدة، الآية 27.

كما وردت في قوله عزّ وجل: «وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ»[1] بصيغة الجمع، وفي مواضيع كثيرة جاءت هذه اللفظة محملة بمدلولات مختلفة، ومتباينة.

هذه الأمثلة وغيرها كثير، تؤكد اعتراف الموروث الإسلامي مشكلا في النص القرآني، ارتباط الأنا بالآخر، واستحالة تواجد أحدهما دون الآخر، إذ لا معنى للأنا إلا بارتباطه مع الآخر الذي يكمله، إن الآخر حتمي للذات كما هي حتمية له، الأنا لا يستطيع أن يعيش إلا في علاقته بقطب الآخر.

## 2- الأنا والآخر لغة واصطلاحاً

### 2-1 الأنا لغة:

جاء في تعريفها، في معجم اللغة العربية المعاصرة كما يلي: «أنا [كلمة وظيفية]:

ج نحن: ضمير رفع منفصل مبني على السكون للمتكلم أو المتكلمة، ألفه الأخيرة تكتب ولا تلفظ إلا في الوقف أو ضرورة الشعر، يجمع على نحن».[2]

وفي معجم محيط المحيط، الأنا: «ضمير رفع منفصل للمتكلم مذكراً أو مؤنثاً، مثناه وجمعه نحن، الأنانة قولك أنا».[3]

فالأنا إذن: ضمير متكلم قائم بذاته مستقل عن غيره من الضمائر، لكن قيمته لا تتأتى إلاّ من خلال سياق، وعلاقات تربطه مع الضمائر الأخرى، «فإن الأنا لا يشهد

(1)- سورة المزمل، الآية 20.

(2)- أحمد مختار عمر وفريق عمل: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، م1، ط1، 2008، ص 125.

(3)- بطرس البستاني: محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، [ط، ج]، 1987، ص 18.

حضوره الفاعل والحيوي، إلاّ بعلاقته بالضمائر أي بالآخر أو الآخرين، وفق حاجته إليه، فهو محتاج لها، وبها يعبر عن خطاب اللغة والمعرفة».[1]

## 2-2 - الأنا اصطلاحاً:

تعددت تعاريف الأنا الوضعية، منها: «الأنا شعور بالوجود الذاتي المستمر والمتطور (....) أما فنيا فهو شعور يبرز الذات بشكل طاغ بحيث ينشط الفنان ضمن دائرة لا تتعدى حدود الشخصية».[2]

وفي تعريف آخر: «الذات هي الفرد المبدع بما يحمله من تميز وما يشترك فيه من خصائص وموروثات مع غيره من المنتمين إلى جنسه وثقافته».[3]

من التعريفين السابقين نخلص إلى أن الأنا ترد مرادفة للذات الواعية بوجودها، الذات الخلاّقة المبدعة، وهذا التميز والاختلاف لا يكون إلاّ بوقوفها أمام الآخر، ومواجهة المغايرة، ففي حضوره، يحتد شعور الذات بذاتها وتزداد رغبتها في الاكتمال والارتقاء، وترسيخ تفوّقها، فالذات تشكل ويعاد تشكيلها في مواجهة الآخر.

## 2-3-الآخر لغة:

جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة: «آخر [مفرد]: ج آخرون (للعاقل) وأخر وأواخر، مؤ أخرى، ج مؤ أخريات وأخر: أحد شيئين يكونان من جنس واحد« ودع كل صوت غير صوتي فإنني أنا الصائح المحكي والآخر الصدى-«أما أحدكما فيسقي ربّه خمراً وأما الآخر فيصلب».[4]

---

(1)- أحمد ياسين السليماني: التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر، رسالة مقدمة للحصول على درجة دكتوراه في النقد الأدبي إشراف جابر أحمد عصفور، دار الزمان، ط1، دمشق، سوريا، 2009، ص 105.

(2)- محمد بوزوازي، قاموس مصطلحات الأدب، الدار الوطنية للكتاب، 2003، ص 43.

(3)-سعد البازعي، مقاربة الاخر- دار الشروق- القاهرة، مدينة، مصر، ط1، 1999، ص 14.

(4)-احمد مختار عمر وفريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب ، القاهرة، م1، ط1، 2008، ص 70.

وأوردها الزبيدي في تاجه فقال:« الآخر بمعنى غير، كقولك: (رجلٌ آخر وثوبٌ آخَرُ، وأصله أَفْعَلُ، من آخرّ أي تأَخّر) فمعناه أَشَدُّ تأخُّراً، ثم صار بمعنى المغاير»[1]

أما لسان العرب، فعرفها كما يلي:« الأخر بمعنى غير، كقولهم" رجل آخر وثوب آخر، وأصله أفعل من التأخر، فلّما اجتمعت همزتان في حرف واحد استثقلت، فأبدلت الثانية ألفا لسكونها وانفتاح الأول قبلها»[2].

التعاريف السابقة تجمعكلها على اعتبار معنى الآخر لغويا في الغيرية، سواء كانت للإنسان أو لشيء آخر.

**2-4- الآخر اصطلاحا:**

تباينت مفاهيم الآخر، وتعددت باختلاف وجهات النظر ومجالات الدراسة، إلاّ أن ثمة اتفاقا يفضي بأن الآخر هو الغير المتميز عن الأنا الفردية، أو الأنا الجماعية، فالآخر هو:« المختلف في الجنس، أو الانتماء الديني أو الفكري أو العرقي»[3]، وهو المكوّن للأنا، فمفهوم الفرد عن ذاته وإدراكه لها محكوم برؤية الآخر له وهو: «الكائن المختلف عن الذات، وهو مفهوم نسبي ومتحرك: ذلك أن الآخر لا يتحدد إلى بالقياس إلى نقطة مركزية هي الذات، وهذه النقطة ليست ثابتة، بصورة مطلقة، فقد يتحدد الآخر إليَّ كفرد أو إلى جماعة معنية، قد تكون داخلية كالنساء بالقياس إلى الرجال، والفقراء بالقياس إلى الأغنياء أو خارجية بالقياس إلى مجتمع بصورة أعم»[4]

(1)-الزبيدي: تاج العروس، تحقيق إبراهيم الترزي م: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، ج10، 1972، ص 34.

(2)- ابن منظور، لسان العرب، مج4، مادة (أخر)، ص 11-12.

(3)- ماجدة حمود: إشكالية الأنا والآخر، سلسلة كتب ثقافية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2013، ص 17.

(4)- نادر كاظم: تمثيلات الآخر، صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2004، ص 20.

يتبين أن الآخر نسيج من المدلولات والمضامين المختلفة، فهذا الدّال يحمل كينونات متباينة، تتحدد من خلال زاوية النظر إليه، وما تحوزه الذات الناظرة من توجهات فكرية وتاريخية ونفسية، كما لا يخفى دوره في رسم صورته وترسيخ بعض جوانبها لدى الآخر.

## 3-الأنا و الآخر من منظور نفسي:

### 3-1-الأنا من منظور نفسي:

احتلت قضية الذات النصيب الأوفر في نظريات الشخصية وفهم السلوكيات الإنسانية، إذ عدّت الأساس المتين في فهم الطبيعة البشرية وفي تأسيس النظرة النفسية لمفهوم الأنا والآخر.

ويعدوليم جيمس(williamGames) من أوائل الباحثين في مجال سيكولوجية الذات في كتابه (مبادئ علم النفس)، فقد قسم النفس إلى ثلاثة محاور:«

1-أنواع الذات هي: الذات المادية، والذات الاجتماعية والذات الروحية.

2-مشاعر الذات.

3-نشاط البحث عن الذات وحفظ الذات».[1]

وقد أحدثت مدرسة التحليل النفسي بزعامة سيجموند فرويد )Sigmund Freud( تغييرا شاملا في الدراسات النفسية، إذ حدد ثلاثة مكونات للجهاز النفسي وهي: الشعور، ما قبل الشعور، اللاّشعور، وقسم الجهاز النفسي إلى أجزاء ثلاثة هي: الهو: الأنا، والأنا الأعلى،«تتكون الشخصية من ثلاثة نظم أساس: الهو Id، والأناEgo، والأنا الأعلى superEgo، وبالرغم من أن كل جزء من هذه الأجزاء للشخصية الشكلية له وظائفهُ

(1)- ينظر: ك. هول، ج لندزي: نظريات الشخصية، تر: فرج أحمد فرج وآخرون، مراجعة: لويس كامل مليكة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ص 566.

وخصائصهُ، ومكوناتهُ، ومبادئه التي يعمل وفقها وديناميته، وميكانيزماته فإنها جميعا تتفاعل معاً تفاعلاً وثيقاً، بحيث يصعب، إن لم يكن مستحيلا، فصل تأثير كل منها».[1]

لقد خص فرويد الأنا بوظيفة بدنية، فهو المتحكم في الحركة والإدراكات الحسية الداخلية والخارجية. «فمن بدن الشخص ذاته، ومن سطح البدن على الأخص تنبعث الإدراكات الحسية الخارجية والداخلية»[2]وهو بهذا التعريف يطابق بين الأنا الشعورية والأنا البدنية، فالإحساسات البدنية هي التي تكوّن حقيقة الأنا.

والأنا عنده قوة ، وهي «وليدة الصراع القائم بين سلطة العالمين الخارجي والدّاخلي وقد احتدم في الصراع بين قوى الشخصية الثلاث، ودوافعها الغريزية، وبين الظروف التي تستثيرها في العالم الخارجي، فجاءت هذه الأنا تلبية لحاجات النفس البشرية للتوازن النفسي والاجتماعي الذي يستدعيه مبدأ الواقع والعقل»[3].

أنا فرويد جزء من الجهاز النفسي، خاضع للهو بنزعاته الغريزية « والهو هو ذلك القسم من النفس الذي يحول كل موروث .... وما هو ثابت في تركيب البدن، وهو يحوي الغرائز التي تنبعث من البدن، كما يحوي العمليات النفسية المكبوتة التي فصلتها مقاومة الأنا... ويطيع الهو مبدأ اللذةPleasure Principell، ولا يراعي المنطق أو الأخلاق أو الواقع»[4] وهو خاضع أيضا للأنا الأعلى بمثاليته.

سوى بعض علماء النفس بين الأنا والذات، ووظفوا اللفظين بالمدلول ذاته، إلاّ أن بعضهم لم يفعل، إذْ فرّقGustav JungCarl )(بين الأنا والذات، فالأنا عنده هي:

(1)- المصدرالسابق> ، ص 53.

(2)- ينظر: سيجموند فرويد: الأنا والهو، تر: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، القاهرة، ط5، 1988، ص 43.

(3)- سهاد توفيق الرياحي: ظاهرة الأنا في شعر المتنبي وأبي العلاء، دراسة موازنة نقدية، دار جليس الزمان، عمان، ط1، 2012، ص 15، 16.

(4)- سيجموند فرويد: الأنا والهو ترجمة: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، القاهرة، ط5، 1988، ص 16.

«محتوى الذات الوحيد الذي نستطيع معرفته»[1] وهي أيضا: «مركب تمثيل شكل بالنسبة لمركز العقل الواعي، ويبدو لي أنه يمتلك درجة عليا من الاستمرارية والتماهي مع نفسه»[2].، فالأنا هنا واعية مدركة.

أما الذات، فهي «كيان يفوق الأنا تنظيما، تحتضن الذات النفس الواعية، والنفس الجماعية، وتشكل بذلك شخصية أوسع»[3]، وهي بذلك موضوع كلية النفس، تجمع الوعي واللاوعي.، الأنا هي: « العقل الشعوري، وهو يتكون من المدركات الشعورية، والذكريات والأفكار والوجدانات. الأنا مسؤول عن شعور المرء بهويته واستمراريته. وهو من وجهة نظر الشخص ذاته يعتبر مركز الشخصية»[4] في حين أن الذات تتشكل من الوعي واللاوعي، وتدل على الشخصية بمستوياتها العقلية والجسمية.

وقد ترد حال الذات رديفا للشخصية، «وتستخدم بديلا عنها، أو تستخدم للتفريد المشخص إنما هي مركب متفاعل من عناصر مادية ومعنوية ونفيسة وروحية لا حصر لها»[5]فهي إذن: مفهوم يضُمُ جميع الآراء والمشاعر والرؤى التي يكونها الفرد عن نفسه، ويعكس خصائصه النفسية والجسمية والعقلية التي تنظم علاقته بمحيطه الاجتماعي.

فتصور المرء لذاته لا يكون بمعزل عن الآخر، فهناك تلازم بين الأنا والآخر: «الأنا، هنا يقوم بدور محوري متحفز، بكونه ذاتا مركزية، يتحدد بعده الجغرافي في أضيق حالاته، في فرديته، وفي أقصى حدوده بعلاقته بالضمائر الأخرى بـ«الآخر»، والآخرين،

(1)- كارل غوستاف يونغ: جدلية الانا واللاّوعي، تر: نبيل محسن، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، اللاذقية، ط1، 1997، ص 193.

(2)- المصدر نفسه، ص 58.

(3)- المصدرنفسه ، ص 94.

(4)- ك. جول لندزي، نظريات الشخصية، تر: فرج أحمد فرج وآخرون، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 1971، ص 111.

(5)- رولوماي: البحث عن الذات، دراسة نفسية تحليلية، تر: عبد العلي الجسماني، دار فارس، عمان، ط1، 1993، ص 08.

في حين أن الآخر لا يمكن أن يكون آخر من دون أن يكون في داخله «أنا»، فكل آخر تتداخله أنا»[1]

إنّ الوعي بالذات لا يتحقق إلاّ في حضور الآخر الذي يعد بمثابة تقويم لها، فالأنا والآخر مولودان معاً، وحسب تزفيتان تودوروف (TodorovTzveten): « بوسع المرء اكتشاف الآخرين في ذاته، إنه ليس جوهرا متجانسا وغريبا بشكل جذري كل ما ليس هو: فأنا آخر "لكن الآخرين أيضا أنوات: إنهم ذوات، شأنهم في ذلك شأني، لا تفصلهم ولا تميزهم بشكل حقيقي عن نفسي في وجهة نظري، والتي بموجبها يعتبرون كلهم بعيدين، بينما أكون أنا وحدي هنا»[2].

فالآخر يكتشف ويتحسس حضوره في وجود أنا فاعلة تولده وتشكله وهي من ترسم صوره العديدة، وْ تحدد ملامحه. وهذا الآخر نفسه يشكل في ذاته أنا، وأنا جماعته باعتباره جزءاً من المجموعة، إنه أنا معبر عن الكل في صيغة أنوات، بينما الأنا تتداعى في نزعتها الفردية وتنفتح في الوقت ذاته على الآخر.

### 3-2-الآخر من منظور نفسي:

فكرة الغيرية، أو مفهوم الآخر مصطلح غني، متشعب في الدراسات السيكولوجية، وقد تناوله علماء النفس في علاقة تلازمية مع مفهوم الأنا أو الذات، وهو عند جاك لاكان(Jacque Lacan)، "الآخر المشهدي"، الذي يتجلى في:« حالة الذات وتبلورها في مرحلة المرآة، فالطفل في مرحلة النمو يحاول دائما تحقيق صورته المثالية المنعكسة في

(1)- أحمد ياسين السليماني: التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر، دار الزمان، ط1، دمشق، سوريا، 2009، ص 104.

(2)- تزفيتان تود وروف: فتح أمريكا مسألة الآخر، تر: بشير السباعي، سينة للنشر، القاهرة، ط1، 1992، ص 09.

المرأة في كل مكتمل، والسيطرة على جسده، لكن لهذا المشهد أثر تغريب إذ أن السيطرة محالة، وبالتالي فإن لهذه الغيرية جانبها التهديدي في صورة الآخر المثيل»[1]

وقد أضاف بول ريكو(Paul Ricoeur) آخراً آخر، وهو الأنا الأعلى، الرقيب الأخلاقي:« وهكذا فإن في دواخلنا أكثر من آخر إذ هناك الأنا كآخر، وهناك وعينا كآخر، وهناك الضمير الأخلاقي، أي الأنا الأعلى كآخر»[2] الآخر لا يمثل مفهوماً فرديا فحسب، بل يتجاوزه للدلالة على المفهوم الجمعي، فالمجتمع بدوره آخر يشكل تصوراً على الآخر (الأنوات) المناظر له.

لقد عالج جان لاكان(Jacque Lacan)مسألة الأنا والآخر، وأقام آراءه على اللغة وانعكاساتها على الذات وعلاقاتها بالآخر المتلقي، وبكون الآخر يمثل الموضوع مقابلا لضمير المتكلم، فجوهرها يبحث عنه في الكلام، هو مدى استجابة الآخر له، فالآخر هو من يقرر التعامل مع الذات المقابلة، فيحاورها أو يصدها لذلك يؤكد على أن العلاقة بين الأنا والآخر تتم بوجود الرغبة بينهما «تعتبر رغبة الإنسان على معناها في رغبة الآخر، ليس لأن الآخر يمسك بمفتاح الموضوع المرغوب، ولكن لأن الموضوع الأول للرغبة يتمثل في معرفة الآخر بها».[3]

نخلص إلى أن: الأنا والآخر جزء من تشكيلة اجتماعية، وفكرية وثقافية ودينية موحدة.

(1)- ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط4، 2005، ص 21.

(2)- أزراج عمر، طقوس بناء الغيرية، جريدة اليومية، الجزائر، العدد 5931،يوم: 10-03، 2010، ص 21.

(3)- ينظر: أحمد ياسين السليماني: التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر: رسالة دكتوراه، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2009، ص 103.

## 4-الأنا و الآخر من منظور فلسفي:

### 4-1: الأنا من منظور فلسفي:

تداخل مصطلح الأنا، و مصطلح الذات في كثير من الأطروحات الفلسفية برغم تشعب توجهاتها ورؤاها الفلسفية، إلا أنها أجمعت على مفهوم موحد للذات في أنها مفهوم جوهري لتحديد مكان الإنسان من الوجود، فهي جوهر الأشياء وحقيقة وجودها.

وهذا ملخص قول ديكارت في عبارته المشهورة «أنا أفكر، إذن أنا موجود»، فالأنا يخص الجوهر المفكر، والوجود الحقيقي للذات هو الوجود الماهوي إذ لا يمكن إنكار وجود الشخص لأن التفكير واقع.

أما فيتشه (Friedrich Nietzsche) الفيلسوف الألماني فقد أصّل لوجود "الأنا الخالص". وهو لا يقصد به أنا الفرد، بل الأنا الجماعية المصورة لذوات الجماعة، «بل الأنا خالصا من كل فردية، فإن الفرديات المختلفة ليست إلا لحظات متأخرة لهذا الأنا الخالص، إن هذا الأنا جنس عام يشمل الجنس البشري كله إنه الأنا الإنساني في وحدته الأصلية الكبرى».[1]

ويرى سارتر (Jean- Paul Sartre ) أن معرفة الذات الفردية لا تتحقق دون معرفة الغير، فوعينا الذاتي موجود لوجوده عند الآخرين، ولكي يبلور هذه العلاقة بين الأنا والآخر ضرب مثلا بتجربته الخجل «فلابد إذن من وجود الغير كواسطة بيني وبين نفسي «لأنني أخجل من نفسي كما تبدو للغير». وظهور الغير يحملني إلى النظر إلى نفسي كموضوع، إذ أنني كموضوع أبدو للغير. وأنا أتعرف على نفسي كما يراها الغير».[2]

(1)- عبد الرحمن بدوي، دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 1980، ص 93.

(2)- فؤاد كامل، الغير في فلسفة سارتر، مكتبة الدراسات الفلسفية، دار المعارف مصر، ص 19.

ويقدم روجرز (William P Rogers) مفهوما آخر للذاتمنطلقا من تموقع الفرد في الفضاء الداخلي الخاص بتبلور الشعور، يقول: «أن كل فرد يوجد في عالم من الخبرة الخاص به، وهو عالم متغير، وعندما تكون هذه الخبرة شعورية فإنها تختص بعالم الرموز، والعالم الخاص بالفرد الذي يدركه هو عالم لا يعرفه بمعنى أصيل وكامل إلا الشخص نفسه».[1]

## 4-2- الآخر من منظور فلسفي:

ارتبط مفهوم الاخر في الفلسفة اليونانية بمفهوم الهوية والبحث عنها: «إنّ الإحالة المتعلقة بمفهوم الآخر لدى الحضارات القديمة، وخصوصا الحضارة اليونانية تفضي إلى الغوص العميق من أجل معرفة الآخر بشكل آخر أو الوعي المضاف».[2]

ويأتي: «الآخر بمعنى صفة كل ما هو غير أنا وفكرة الآخر بمعنى غير الأنا مقولة

استيمولوجية ملخصها الإقرار بوجود خارج الذات العارفة، أي كينونات موضوعية».[3] فالآخرفي أبسط مفاهيمه هو نقيض الذات أو الأنا.

وقد شاع توظيف هذا المصطلح في الفلسفة المعاصرة خاصة، عند ميشيل فوكو، وجان لاكان وجان بول سارتر، فقد قدّم الأول أنماطا كثيرة عن الآخر الغير، فهو يرى بأن «فكرة الغيرية قد اغتنت بتآلفات كثيرة هناك، ولا شك أن الآخر من حيث هو جسّد، ولكن هناك أيضا الآخر من حيث هو غير، هذا الغير المتجلي بوصفه محاوراً على

(1)- قحطان أحمد الظاهر، مفهوم الذات بين النظرية والتطبيق، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2004، ص 27.

(2)- محمد مولفي: "الآخر بشكل آخر أو الوعي المضاف" ترجمة مليكة بن دودة، مجلة أنيس الجزائر، ع2، السداسي الأول، 2007، ص 34.

(3)- سولاف بوحلايس، "صورة الأنا والآخر في شعر مصطفى محمد الغماري"، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأدب الجزائري الحديث، باتنة، 2008-2009، ص 08.

صعيد الخطاب، وبوصفه بطل الرواية، أو الخصم على صعيد التفاعل أو التشابك، وأخيرا هناك الآخر بوصفه حاملا لتاريخ غير الذي هو لي في تواشيح روايات الحياة.»[1].

اهتمت الفلسفة الوجودية بالإنسان وكان محور فلسفتها، وانشغلت بالبحث في إشكالية الأنا والآخر وأقرت بأن الوجود خارج عن الذات أي آخرية، أو ما يتشكل به الآخر. فسارتر أقر أنّ وعينا الذاتي موجود لوجوده عند الآخرين، فالآخر عنده: «عامل فاعل في تكوين الذات إذ يرى أن وعي " الذات الوجودي " يتأسس تحت تحديق الآخر، ولكن الآخر ليس آخر أخيرا، بل ينطوي على عداء يدمّر "إنسانيتنا" لأنه يلحق الكينونة أو الوجود بطريقة جبرية»[2]، وهو فحوى مقولته الشهيرة: "الآخرون. هم الجحيم" في ختام مسرحيته «لا مخرج».

إن الآخر يشكل مساحة أخرى لحركة الأنا، وامتدادا طبيعيا لتلاحمهما معاً في شبكة معقدة من العلاقات.، الآخر اختراع من الأنا ونتاج انفتاحه، ولولا الأنا ما كان الآخر، ولولا الآخر ما كانت حركة الأنا.[3]

الآخر حتما جزء من الذات، ومرآة لإدراكها، والآخرية متولدة عن الأنا ومولدة لها.، فحضور الآخر في حياتنا ليس شيئا عارضا، بل هو شيء ثابت، متجذر فينا لذلك من الخطأ إقصاؤه ورفضه كيفما كان: حقيقة أم خيالاً، عدوا أم حميما، قريباً أم بعيداً.

وتجدر الإشارة إلى أن مصطلح الآخر قد ارتبط بمفاهيم أخرى أبرزها العنصرية، كما أنه عرف رواجاً كبيراً في الخطاب الكولونيا لي أو ما بعد الاستعماري بمعنى: هو

(1)- أزراج عمر: طقوس بناء الغيرية، جريدة اليومية، الجزائر، ع5931-يوم:10-03، 2010، ص 21.
(2)- ميجان الرويلي وسعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 2005، ص 21.
(3)- أحمد ياسين السليماني، التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر، دار الزمان، دمشق، سويا، ط1، 2009، ص107.

«تصنيف استعبادي يقتضي إقصاء كل ما لا ينتمي إلى نظام فرد أو جماعة أو مؤسسة، سواء كان النظام قيما اجتماعية، أو أخلاقية أو سياسية أو ثقافية.[1]

كما انفتح هذا المصطلح على النقد الثقافي والنقد السنوي والفلسفة وعلم التحليل النفسي، وهو عند لاكان وغيره من المفكرين الفرنسيين الآخر بامتياز، أو الآخر الرمزي، «فكينونة المرء لا تتحقق إلا من خلال القدرة على القول، لكن هذه القدرة تعتمد على استخدامك نظاما تمثيليا (اللغة) يسبق وجودك»[2] اللغة إذن سفيرة الذات، وهي من تمثلك أمام الآخر: «فإن عرضك لأفكارك الذاتية والكيفية التي تمثل بها ذاتك تتمثل فقط من خلال اللغة التي تسبق دائما وجودك، وعليه فإن حال نطقك تكون أصلاً "منطوقا" أو مكتوبا مسبقا، وهذا "الوعي الذاتي" نفسه مخترق من الخارج، أي أن الذاتية النقية ليست نقية لأن الآخر الغريب قد دخل مسبقا جوهر بنيتها»[3].

## ثانيا: فيماهية علم الصورة (الصور ولوجيا)وعلاقته بثنائية الأنا والآخر:

يعرّف المنجد في اللغة والإعلام الصورة كما يلي: «صوّره: جعل له صورة مجسمة وهيئة»[4].وهو ما يوافق قوله عز وجلّ:« **هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كيف يشاءۚ لَا إله إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**»[5]فالصورة حسب ما سبق هي: الهيئة أو الشكل الذي يميز صاحبه عن غيره، على اختلافه وكثرته.

«وصوّر الشخص أو الشيء: بمعنى رسمه على الورق أو الحائط أو نحوها بالقلم أو بآلة التصوير والتصوير الشمسي: أخذ صور الأشياء بالصورة الشمسية، والصورة: الشكل

---

(1)- ميجان الرويلي، سعد البازغي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2002، ص 21.

(2)- المرجعنفسه ، ص 24.

(3)-المرجعنفسه ، ص 24.

(4)- علي بن الحسن الهنائي الأزوي: منجد اللغة والإعلام،تح:أحمد مختار عمر-ضاحي عبد الباقي دار المشرق، بيروت، باب (صوص، صاف)، ص 441.

(5)- سورة آل عمران: الآية 60.

والتمثال المجسم».[1]فالتعريف يحيل إلى فكرة النسخ والمشابهة والتمثيل، أي تشكيل مشابه أو صور طبق الأصل.

لكن السؤال المطروح هو: ما علاقة الصور ولوجيا أو الصورائيةImageologie، بثنائية الأنا والآخر؟ وما مدى أمانتها أو افتراءها في نقل الواقع وتصويره؟

علم الصورة، أحد فروع علم الأدب المقارن، يهتم أساسا بالتصورات التي تنتجها النصوص الأدبية أو الفكرية أو الفلسفية عن الآخرين، وهو علم مستحدث، ظهر في العقود الأخيرة من القرن العشرين تعرف فيه الصورة بأنها: «تعبير أدبي يشير إلى تباعد ذي دلالة بين نظامين ثقافيين، ينتميان إلى مكانين مختلفين، وهي جزء من التاريخ بالمعنى الوقائعي، والسياسي. كما تعد جزءاً من الخيال الاجتماعي، والفضاء الثقافي أو الإيديولوجي الذي تقع ضمنه».[2]من هذه الزاوية، تعد الصورة تمثيلاً لواقع ثقافي وإيديولوجي تخييلي، تتجه إلى مساءلة الهوية، والعلاقة بين الأنا والآخر إذ «لا يتشكل وعي الإنسان بصورة حقيقية إلاّ حين يبدأ بوعي علاقته بالآخر الذي يعد نقيضا ومكملا في الوقت نفسه للأنا»[3].

فهذا العالم يفرض وجود واقعين ثقافيين مختلفين، ينظر كل منهما إلى الآخر وفق زاويته الخاصة ومن خلفيته الثقافية والفكرية، فهي تمثل «واقعا ثقافيا أجنبياً يكشف عبره الفرد أو الجماعة المكونة له أو مُرَوّجَتُه ومتقاسمته، عن الفضاء الأيديولوجي الذي يتموضع داخله»[4]

(1)–عبد العالي بشير: "سيميائية الصورة في رواية "عابر سرير" لأحلام مستغانمي، الملتقى الوطني الرابع «السيمياء و النص "، 28–29نوفمبر2006،جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية الآداب و العلوم الإنسانية ص21

(2)–ماجدة حمود، «صورة الشرق لدى هرمان هيسة»، مجلة دمشق كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، م 19 (2،1)، 2003، ص 75.

(3)– غسان السيّد: «صورة الغرب في الأدب العربي»، رواية (فياض)، لخيري الذهبي نموذجاً، مجلة جامعة دمشق، م24، ع (3،4)، 2008،

(4)– سيد علوش، مكونات الأدب المقارن في العالم العربي، الشركة العالمية للكتاب، ط1، 1987، ص 480.

وقد ارتبط مفهوم الصورة بمفهوم المرآة، وهي: «سطح يعكس كل ما يقوم أمامه، فأي شيء يمتلك خاصية السطح العاكس فهو مرآة... وهذا الذي يقوم أمام المرآة يعرف باسم الأصل، وأما الذي تعكسه فهو يعرف بالصوّرة أو الانعكاس»[1]، فالصورة تمثل انعكاسا لأصل سابق، وهذا التعريف يعزز ارتباط الناظر بالمنظور إليه، ويؤكد صلة الأنا والآخر بالمرآة، «حيث تعمل ذات الآخر مرآة نرى فيها ذاتنا التي تعمل بدورها كمرآة تساعد الآخر على رؤية ذاته»[2].

بيد أن الصورة التي يقدّمها الأديب عن البلد الآخر لا تطابع الواقع –في الغالب– فهي صورة متخيلة، تقوم على خلفيات ونوايا، «كما أنها محكومة بمحددات ثقافية واجتماعية وسياسية ولغوية» [3]، تختلط فيها المشاعر بالأفكار، ولا تخلو من استيهاماتسرابية أحيانا، تخضع لسلطة الذات وتتجرد من الموضوعية في الحكم على الآخر، «إنّ الصورة الذهنية نتاج نهائي للانطباعات الذاتية، التي تتكون عند الأفراد، أو الجماعات، إزاء شخص أو شعب أو قضية وتتكون هذه الانطباعات بفعل تجارب مباشرة أو غير مباشرة، مرتبطة بعواطف الأفراد وعقائدهم واتجاهاتهم، بغض النّظر عن دقة المعلومات وأماناتها»[4]

لقد أضحت الصورة تعبيراً عن رغبات صاحبها وأهدافه أكثر مما هي تجسيد لحقيقة الآخر، اتكأت على نسج صورة من عالم الخيال، ازدحم فيها هذا الأخير مع الحقيقة، لتبرز وعي الذات للآخر أكثر مما تجسد هذا الآخر وتصوره كما هو في الواقع، فهي: «خطاب متخيل تشكلت ضمنه صور وتمثيلات وتحيزات اكتسبت طبيعتها البديهية

(1)– محمود رجب، فلسفة المرآة، دار المعارف، مصر، ط1، 1994، ص 15.

(2)– ميخائيل إبراهيم اسعد، شخصيتي كيف أعرفها؟، المؤسسة اللبنانية العربية للتوزيع والطباعة والنشر، ص 72.

(3)– نادر كاظم، صورة السود وتمثيلات الآخر – صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2004، ص 40 – 41.

(4)– علي العجوة، العلاقات العامة والصورة الذهنية– عالم الكتب، ط1، 1983، ص 10.

المزعومة من سياقات القوة التي تحصن الذات، وتشكل خطوطاً متشتتة تفصل الذات "النقية الصافية" عن الأعراق والثقافات الأخرى "الملوثة"»[1].

وهو ما نجد له حضوراً واضحاً في إشكالية:( الغرب/ الشرق)، فسيادة النسق الأوروبي لا تقوم على أساس من التساوي والتماثل بين الطرفين، بل على قاعدة السيطرة والنفي، فتدمير الآخر أيًّا كان ونفيه هو شرط الاستمرارية.

وقد رسم هذا الأخير للذات العربية صورة نمطية، فنظر إلى الشرق بمنظار الفوقية والهيمنة، وفرض عليه أحكاماً عزّزت المركزية الغربية، وعمل على مصادرة تاريخه، ومحو ذاكرته، وإخضاعه، كما مارس عليه كل فنون الإبادة والإقصاء، وحاول اجتثاث الهوية العربيةقاصدا محوه من الوجود، هذه المعاملات القاسية تركت جرحاً عميقا في الذاكرة الجماعية العربية ،فازدادت المواجهة بين الأنا والآخر و احتدمت كونه يشكل تهديدا للهوية الخاصة، وَذكَتْ مشاعر الكراهية والحقد، فتَّجندت الأقلام الثقافية لمناهضة سياسته ومقاومة أساليب التدجين والتفسخ، في محاولة لإنقاذ الذات من التلاشي والذّوبان، هذه الرؤية للآخر هي نتيجة «جماع من القوالب والرواسم والمواقف والأفكار والمشاعر التي تراكمت مع مَرّ السنين في بنية ثقافية معينة وأضحت خلفية معرفية، أو مرجعية يُحتكم إليها ليس لرؤية الآخر فقط، وإنما أيضا للتعامل معه واتخاذ موقف منه أيضاً.»[2]

وقد تتخذ الأنا العربية الواعية مسافة إزاء الصورة المكرسة اجتماعياً وتاريخياً عن الآخر، فتعمد إلى تنقيتها من الشوائب ونقدها، وتتخذ لنفسها نظرة محايدة، موضوعية، مشدودة بوشائح إنسانية تتجاوز القطرية الضيقة، وتنفتح على الآخر لتبصر الجانب المشرق فيه، «فالروائي اليوم لا يقدم ألبوماً للصور ولا دروسا، لكن الروائي أيضا يثبت ايديولوجية، نظراتٍ، رؤية، مما يتصل بالعلاقات الإنسانية، بالإنسان، ومحيطه

(1)- نادر كاظم: صورة السود تمثيلات الآخر – صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،ط1، 2004، ص 45.

(2)- محمد الدّاهي، صورة الأنا والآخر في السرد، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2013، ص 08.

الاجتماعي والطبيعي أيضا، بالتاريخ، وهذا الذي يشبه الروائي ليس إلهاماً ولا ذاتية خاصة، إنه إنتاج فردي اجتماعي معين ولذلك يبرز السؤال النقدي الهام عن الرؤية التي ينطوي عليها النص»[1].

والأسئلةالتي تفرض نفسها هي:

-ما مدى تحرر الروائي واسيني الأعرج من النظرة المتوارثة روائيا عن الآخر؟

-وهل كان تمثيله غرائبيا متحيزا، أم كان وسيلة لتأكيد الذات ونقدها؟

-و ما هي الصور التي رسمها للأنا و الآخر؟

هذه الأسئلة وغيرها سنحاول إنارتها من خلال الفصلين التاليين.

(1)- نبيل سليمان، وعي الذات والعالم، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 1985، ص 11.

## تجليات الأنا في رواية:2084حكاية العربي الأخير:

أولا: الأنا المفكك (الممزق)

ثانيا: آدم–الاغتراب النفسي وجرح الهوية

ثالثا: آدم المخدوع

رابعا: الأنا المتحضر

1–في مجال العمران

2–في مجال النووي

خامسا: آدم _ التفوق الرياضي

سادسا: الأنا الثقافي

## الفصل الأول:

## تجليات الأنا في رواية:2084 حكاية العربي الاخير:

تأتي الرواية في طليعة الفنون الأدبية قدرة على تجسيد ثنائية الأنا و الآخر، نظرا لحجمها وتفردها بإمكانية السرد والوصف والتحليل، إذ "تتيح الفرصة لصوت الأنا للتعبير عما يضطرم في الأعماق من مخاوف وآلام وأفكار، فتنطلق في نقد الذات والآخر معا"[1]فللرواية القدرة على سرد تعقيدات الحياة ورصد تحولاتها من خلال المصادر المختلفة لحيوات البشر، وهي "قادرة على نبش أعماقنا وتجسيد أفكارنا ومشاعرنا وأحلامنا، وطرح ما يعترضنا من إشكالات تعانيها 'الأنا' في مواجهة الآخر، كل ذلك يفتح المجال لتقديم اضطراب رؤيتنا وقلقنا واحباطنا، فيعكس نتطور نظرتنا إلى ذواتنا وإلى الآخر، مثلما يعكس أوهامنا وأفكارنا المسبقة التي كثيرا ما نجد أنفسنا أسرى لها، إذ تشكل أسس تصرفاتنا وعلاقتنا مع الآخر"[2]

يتوفر هذا الجنس الأدبي على امكانيات سردية وجمالية تتيح التوغل في أعماق الذات الانسانية وكشف حقائقها أو أوهامها الفكرية واللغوية، ومن ثم تدفع الإنسان إلى تصحيح أفكاره ومعتقداته فينفتح على الآخرين، مما يغني العلاقات الانسانية، ويعيد قراءة الآخر ونقد الذات، بعيدا عن الصورة الموروثة المتخيلة ،وعن تعظيم الذات وتضخيمها، إذ أن صورة الآخر لا تتضح إلا من خلال تشابكها بصورة الأنا، فاتساع الفضاء الروائي يفسح المجال أمامنا "كي نتأمل هواجسنا ووجهات النظر المتعددة التي نواجهها في الحياة، وتثير أسئلة حول "الأنا" وأزمات تعترض في تشكيل الهوية، التي من بينها إشكالية العلاقة مع الآخر، فتبرز التشوه الذي يحاصرنا مثلما يحاصر الآخر، وبذلك تتغلغل

(1) ماجدة حمود اشكالية الأنا و الاخر( نماذج روائية عربية)المجلس الوطني الأعلى للثقافة و الفنون والآداب ، الكويت،ط1،2013،ص14

(2)المرجع نفسه ص 14

الرواية في الأعماق لتناقش الاكراهات التي تعشعش في اللاوعي فتقتحم المخبوء في تصور الذات والآخر"[1]

فمعرفة الذات على حقيقتها لن يكون إلا في حضرة الآخر وبلقائه، حينئذ يمتلك المرء الوعي بذاته والاعتزاز بها، إذ النقد الذاتي يساعد على الانفتاح الانساني وتطوير النظرة للآخر وفي الوقت ذاته يسهم في الحفاظ على الخصوصية.

و الأسئلة التي تواجهنا هي:

-كيف تشكلت هوية الأنا العربية في هذا الفضاء الروائي ؟ وما هي أبرز صورها؟.

-وهل سقط المبدع الروائي في آفة التعميم ووقع في مزالق فكرية، فتبنى الفكر الإقصائي للآخر، معليا من شأن الذات أمأنه أسس للتفاعل والتلاقح الخصب، فكانت نظرته للأنا موضوعية بعيدة عن التحيز والتعصب الذاتي؟

و في ما يلي محاولة لتتبع صور الأنا العربية، ورصد تمظهراتها في هذا النسيج الروائي:

**أولا: الأنا المفكك (الممزق):**

لعبت العوامل الخارجية الاقليمية والدولية دورا بارزا في تغذية الصراعات الداخلية العربية، إذ .عكف الآخر الاستعماري على خلق الصراعات العنصرية، ونسج المغالطات التاريخية والثقافية، بين الأغلبية والأقلية في المجتمعات العربية، وأبدع في حبك المكائد السياسية وزرع الأحقاد والفتن بين فئات المجتمع ليعزز بؤر الصراع، ومن ثمة يتخذها حججا للتدخل في شؤونها الداخلية تحت ذريعة حفظ الأمن العالمي وحماية مصالحه الخاصة، لذلك مارست الدول العظمى الامبريالية الغربية شتى وسائل الضغط السياسي

(1)المرجع السابقص 15

والاقتصادي على الدول العربية وتنافست فيما بينها على فرض النفوذ والهيمنة، عن طريق تدعيم الانشقاق بين النظام والقوى المحلية المعارضة له، في محاولة ناجحة لتفتيت الجسد العربي واضعاف مناعته، لذلك قدمت هذه الأخيرة الدعم اللوجستي العسكري للأقليات العرقية والدينية المتناحرة "في آرابيا أيضا حروب طاحنة مزقتها وقتلتها، بدأت بتمزق محدود .اثني أو قبلي أو عرقي أو لغوي قبل أن يتحول إلى حرب عبثية بلا نهاية داخل هيكل آرابيا، هناكأرابيات شيعة وسنة، دروز ، وأرمن، وأكراد وأمازيغ، لم يعترف لهم بأي حق، الباقي يقفون على أرض هشة"[1]

حالة التفكك طالت كل آرابيا لتتحول إلى دويلات لا شيء يربط بينها سوى الأحقاد والكراهية العرقية اللغوية والاثنية، دويلات هشة، رخوة ، عاجزة عن الدفاع عن نفسها ومواجهة التحديات الداخلية والخارجية، رهينة بيد قوى طائفية أو قبلية وحتى ارهابية، محاصرة ومخترقة من الخارج والداخل، من السهل على الدول الأجنبية أن تنفذ مخططاتها وأجندتها ضدها.

ولعل الأنانيات السلطوية هي السبب الرئيس في هذه الحروب الأهلية والحراك الهائج، فجمود الفكر السياسي لحكام العرب وأطماعهم وبؤس رؤيتهم وقصرها في رسم المسارات والمخارج الجديدة لتحدي الانقسامات، تؤكد الهشاشة الشرعية التي تستند عليها السلطة السياسية الحاكمة، وفشلها الذريع في خلق هوية موحدة ،تشمل كل الكيانات القطرية العربية التي تعرف تناقضا ثقافيا وعرقيا واجتماعيا ودينيا ومذهبيا ،وادماجها حضاريا بحيث يحصل التعايش بين هذه الطوائف المتعددة، فتقبل بالآخر الحميم المختلف "لكن آرابيا لم تمنح فرصة تأمل وضعها بسبب جنون حكامها وأطماعهم

(1) الرواية ص 148

وإخفاقهم، كلما زادت الحروب كثافة والفقر توغلا، أصبح التفكك سريعا وكبيرا ومن الصعب التحكم فيه"[1]

غياب العقل والحكمة السياسية و غلبة الجنون ثم العدمية عجل بربيع الموت الذي مس كل دول آرابيا وأحرقها من داخلها، جزء من هذه الدول تحالف مع الأعداء خاصة آزاريا(اسرائيل) لتحميه، والجزء الآخر عاد للنظام القبلي البدائي، وضع بائس، متخلف ينذر بانقراض العرب لغة وتاريخيا وجغرافيا، فقد توحشت لغتهم بتوحشهم، وأصبحوا أشباه بشر، كائنات آيلة للزوال، تأكلهم الصحاري وضباعها أو البرد الشديد والمجاعات القاتلة، أجسادهم متهالكة تغطيها خروق بالية، يتقاتلون على لا شيء ، يموتون من شدة الجوع والعطش ، يدفن منهم العشرات يوميا، مدن تحولت إلى فراغ مهول، تسكنها الثعابين والعقاب والضباع، نافسها الآرابيون أكلها شبه المستحيل "عندما قام العرب بثورتهم كبقية الشعوب قتلوا أنفسهم أولا ثم أكلوا رؤوس بلدانهم بعدها خلقوا فراغا ظنوه هو الديمقراطية، ويوم استيقظوا وجدوا أنفسهم مجموعات يقتلها العطش بين الصحاري والثعابين، كالعمران الذي يشيد على الرمال وفي ثانية واحدة انهار كل شيء"[2]سحبوا السيوف والسكاكين في وجه بعضهم البعض، ومحو آثارهم، فصاروا بلا وطن ولا هوية ولا تاريخ ولا ذاكرة، هذه الأوضاع البائسة تخدم مصلحة الآخر وأزماته وأسواقه" "فقد خلقت هذه التمزقات مجتمعا غير متماسك، ومهزوما من الداخل، يعيش بشكل قدري في الحاضنة الغربية الاستعمارية والمصلحية البحتة"[3] انهيارات متتالية ومصير شديد السواد، يؤكد أن العالم العربي فقد سيطرته على مصيره الجمعي فزاد انقسامه وتباعدت أطرافه، بل سيمحى وجوده من الخارطة العالمية في ظل تعاظم دور القوى العنيفة الارهابية التي تسعى إلى تدمير أسس ومقومات الدول والمجتمعات عبر ممارساتها الوحشية بدعم كل من الجهات الأجنبية تمويلا وتدريبا وتسليحا ودعما سياسيا، فقد امتهن التنظيم تجارة البشر "ومع الزمن أصبح

(1)المصدر السابق ص 148

(2)المصدر نفسه ص 343

(3) واسيني الأعرج (انهيار الدولة العربية و التفكك المتواتر)مجلة القدس العربي ،يوم:09-12-2015

مثل الضبع الذي شبع من الموتى، يمر أمامهم ولا يأكلهم، من شدة أنهم تحولوا إلى هياكل عظمية، حتى النساء اللواتي كان يسبهن ويسرقهن، لم يعدن مغريات، مجرد هياكل عظمية عليه إعالتها أولا حتى تصبح مشرقات وسمينات قليلا، وتتمكن من الوقوف على أرجلهن حتى يصبحن صالحات للبيع والشراء والمقايضة"[1]لقد سرق الإرهاب كل شيء منهم حتى الحق في الحياة، فكل شيء تفكك وامحت معالم الحضارة والعمران طمست آثار التاريخ، فصار العرب بلا عنوان ولا ماضي، بلا هوية ولا وطن "محا التنظيم كل الماضي الإنساني نهائيا، فحطمت ألواح جلجامش أو ما تبقى منها، ومحيت المدن البابلية والرومانية وحتى الاسلامية على مرأى المجتمع الحر؟ نحن اليوم بقايا بشر بلا تاريخ ولا هوية، والأشد خطورة بلا ذاكرة إلا ذاكرة الطائفة القبلية"[2]

إن التعدديات الفكرية و المذهبية ظاهرة طبيعية عند كافة الشعوب و الأمم ،غير أن الاشكال يكمن في نزوعها نحو التسلح و النزاع الدموي ،بسبب افتقادها للتجانس الذي يؤسس للاعتراف بالآخر، فتهميش الهويات الفرعية جعل منها ثقوبا في النسيج الوطني، غززت عوامل الفرقة و الاعتزاز بالهوية الخاصة في مقابل الهوية الوطنية، هذا الوضع خدم مصالح الاخر العدو و مكن له في أرضنا.

**ثانيا: آدم-الاغتراب النفسي وجرح الهوية:**

من البديهي أن الانفتاح المعرفي يقود إلى انفتاح انساني، لكن الغرب القبيح سخر كل معارفه وعلومه للاستيلاء على مقدرات الأنا العربية واقصائها، بدافع التعصب والكراهية، فوأد بذلك كل المشاعر الإيجابية، وفصم روابط التواصل، باستهدافه الإنسان ذاته، معتمدا نظاما سيكولوجيا يخدم خططا عسكرية وسياسية وأخرى اقتصادية وثقافية، فيمحاولة لتحطيم روحه المعنوية والقضاء على ارادته بالسيطرة على عقله وتشويه فكره، ومن ثم جره نحو الهزيمة والجنون.

(1) الرواية ص 329

(2)المصدر نفسهص 274

إذ شنليتل بروز ضد آدم حربا نفسية ضروسا، وظف فيها شتى الأساليب الوحشية، وأجبره على تناول محاليل منومة، تفقده وعيه، وبالمداومة عليها يصبح فريسة سهلة لتجريده من ذخيرته الفكرية ومبادئه الانسانية، فتتوفر بذلك فرصة غسل دماغه وبرمجته ضد ارادته وتحويله ضد عقيدته وإعادة تشكيل شخصيته وهويته " أن أعيش حاضرا مجردا من كل آت، أو أقتل وأستعاد بشكل آخر فهذه فكرة ممكنة ... الاستمرار في الحياة، عفوا في العيش، لا يوصل إلى شيء مهم، يمنحك فرصة أن تفتح عينيك ... الحياة ليست فقط ما نراه، ولكن أيضا ما ينام فينا منذ قرون لا حد لها"[1]

تعرض آدم لمضايقات شديدة، عنف نفسي وعقلي، ترهيب وتحقير مستمر، عزل عن الحياة العامة وزج به وحيدا في غرفة مقصية، لم توجه في حقه أية تهمة محددة، فوجد نفسه عاجزا عن الدفاع عن نفسه ضد جرم يجهله، خضع لرقابة صارمة، وضعوا في معصمه شريحة حشوها بمعلوماته الخاصة، وأخرى تحدد مكانه بسهولة وزرعوا في غرفته أجهزة تصنت وكاميرا مراقبة، تترصد كل تحركاته وكلامه وحتى أحلامه وتفكيره، لكنه قاوم وسار وفق ساعته البيولوجية التي بقيت حية نسبيا ولم تمت أبدا، حرم من أهله وأسرته ويونا التي لم ينعم برؤيتها تكبر أمامه، سرق هذا المكان الرهيب. قلعة الجحيم والموت جزءا من حياته، واقع مأزوم لعين، أمام جبروت طاغية، عالم ميت لا انسانيسلبه الإحساس بقيمة الأمن والحياة تمنى لو أنه حشرة تلتصق بحائط قديم، بذل جهودا كبيرة حتى لا يصاب بالجنون، وحاول التآلف مع المكان.

ليتل بروز في كل مكان، يعرف كل كبيرة وصغيرة، الجميع واقع تحت أسره ورقابته، يمارس الضغط والاضطهاد بفوقية تسلطية، هذا الواقع اللامعقول كبل ذات آدم المنهارة وأحدث فيها تصدعا نفسيا، كل حقوقه مهضومة، ولا جدوى من الاحتجاج والرفض، بالرغم من لا شرعية ما يقع عليه من حيف وظلم "من الواضح هنا أن ما

(1)المصدر السابق ص 95

يعكسه ذلك كله من رؤية السلطة للفرد وحرية الفرد وحقوقه، وهي رؤية بالنتيجة سلطية وفوقية لا تنظر إلى الفرد إلا بوصفه جزء من آلة كبرى"[1]

وجد آدم نفسه في دوامة من الاجراءات والاستجوابات والأوامر الغامضة التي لا تنتهي، والتعامل اللاإنساني أمام سلطة غاشمة، ضف إليه بؤس السجن وما ينطوي عليه من قهر وإخضاع، هذا الأمر دفعه للهروب إلى عالمه الداخلي، يلتمس السلام يستسلم لظلال الذاكرة، يبحث عن ذاته عن كينونته وهويته "إذ المرء لا يدرك أهمية هويته إلا في لحظةمأزومة يواجه فيها المختلف، عندئذ يرتد إلى مكوناته الأصلية التي تمنحه الإحساس بوجوده بتميزه واختلافه عن الآخر، فيحس بضرورة الحفاظ على هذه المكونات مهما كانت التحديات، إذ كلما زادت المواجهة مع الغير، زاد تمسك المرء بمكونات هويته وخصوصيته، حتى تكاد أناه ، تصبح وهذه المكونات شيئا واحدا"[2]هو الذئب رماد، الذي رافق صوته آدم زمنا طويلا منذ طفولته في القرية إلى سفره صوب الخارج للدراسة، حتى وهو في عمر الخمسين ، لم يغادره هذا الذئب قط، رغم أنه حاول إخماده، كثيرا ما كلمه في يقظته وأحلامه يستمدمنه الثبات والمقاومة، يمنحه الرغبة في الاستمرار، ومواجهة الموت " مزق يا رماد غطاء هذا الليل القاسي، كما تعودت أن تفعل أمام كل من يسرق حريتك وضوئك، من عرفك يا جدي،لا. يمكنه أن يجهلك أو ينساك"[3]مثل رماد بالنسبة للبطل الهوية الممزقة، الروح التي يفتقدها ويبحث عنها، يذكره بآخر السلالات وأصلها، يمنحه الوجود والانتماء في الفراغ الرهيب، لأن الهوية هي "الحقيقة المطلقة للشيء أو الشخص المشتملة على صفاته الجوهرية التي تميزه عن غيره، وتسمى أيضا وحدات الذات، أي خلوها من التناقضات والتشتت"[4]قد يتجاوز هذا المفهوم نطاق الفرد، ليرتبط

(1) نجم عبد الله كاظم،الرواية العربية المعاصرة و الاخر ،دراسات أدبية مقارنة عالم الكتب الحديث اربد الأردن،ط1،2007،ص111

(2) ماجدة حمود اشكالية الأنا و الاخر(نماذج روائية عربية)،مرجع سابق ص 13

(3) الرواية ص 54

(4) رضا شريف ،الهوية العربية الاسلامية و اشكالية العولمة عند الجابري ،مؤسسة كنوز الحكمة الأبيار الجزائر دط 2011،ص 14

بمفهوم الانتماء الذي يتعين توفر مجموعة من المقومات المميزة لدولة، أو شعب يختلف فيها عن الشعوب الأخرى، ينتسب الفرد إليها ويلتزم بها فتكون بذلك. قاسما مشتركا بينهم، شعور يمنح المرء الوجود ويدفعه إلى التماهي بجماعته والتوحد بها، هذه الهوية لن تحدد إلا في وجود مرتكزات، عقدية وفكرية، ولعل أبرزها الفضاء الجغرافي، المكان، الوطن "إن الانسان لا يحتاج إلى مساحة فيزيقية جغرافية يعيش فيها، ولكنه يصبو إلى رقعة يضرب فيها بجذوره، وتتأصل فيها هويته، ومن ثم يأخذ البحث عن الكيان والهوية شكل الفعل على المكان لتحويله. إلى مرآة ترى فيها الأنا صورتها"[1]فالوطن هو من يحدد معالم الفرد ويمنحه التميز والخصوصية، وما ارتباط الانسان به إلا ارتباط بالكيان وحفاظ له من التلاشي و العفاء ودليل على تصالحه مع نفسه.. يأتي تذكر رماد، الوطن، اثر مواجهة آدم لوضعه، وضياعه، ومحاولة الهروب من السقوط والتيه، هي استراتيجية للعبور إلى طريق الخلاص، فالخروج من قلعة أميروبا عبر ثقب الذاكرة يمثل تخفيفا من عنف المكان والتحاما بأمكنة وشخصيات وأزمنة حميمية لم تعد موجودة في حاضره.. وصله صوت نداء داخلي دون سابق انذار، عاد به إلى زمن الطفولة الأولى، زمن البراءة والسعادة:"

يااالنوووووووو، صبّي صبّي

ما تصبيش عليّ

.حتى يجي خويا حمّو

ويغطيني بالزربية

يا النوووووووووووووو

عووووووووووووووو"[2]

(1)سيزا قاسم، يوري لوتمان و اخرون جماليات المكان دار قرطبة،ط1988،21،ص 63

(2)-الرواية ص86

تذكر حينها حديث جدته عن الأصل الحيواني للإنسان*، لقد أفهمته أن رماد هو جده الأول، وأن الكل يموت، عداه يبقى شامخا حارسا على الهضبة العليا، يخافه الناس، يدرك جيدا قدره، عواؤه يذكر بوجوده أنهما يزال هنا برغم الموت والجراح والخوف. رماد نبوءة الأجداد، سيد السلالة التي خرج منها آدم، هو علامته في القلعة الموحشة، في خضم القدر الأسود، المرض العدمية، الموت، الكوابيس، التحقير، العواصف الرملية، خنق الحريات ... هي أبرز ما يميزها، لقد عمى البصر والبصيرة، احتل الغرباء أرض الأجداد وتمزق أهلها، "ابق حيث أنت أيها الجد الأبعد، لقد احتلوا غاباتك ومساكنك وقلبك السخي، وعينيك، وتلالك القصية فقط، لكي يهجروك، لكني أشعر بك هنا، في الأوقات العسيرة، أنت من يمنحني أنس الأمكنة الخالية، وفي الأوقات المريحة أنت من يمنحني القدرة على الاستمرار والحياة، لا يجب أن تموت بهذه الطريقة، قدرك أن تستمر فينا، فيّ تحديدا"[1]علاقة آدم برماد هي العلاقة بالوطن، انصهار وجودي، امحت فيها الفواصل بين الذات والمكان، فقد انتهت رحلة البحث عن الذات إلى فضاء الوطن، "أنت جدّي، طريقي ، ومسلكي في الزمن الضيق، هويتي التي لا أريدها أن تسرق مني، بصيص الضوء في عمق الظلمات، أركض وسأضل أقتفي آثارك حتى و لوكنت دما أو رائحة أو أنفاسا، أنت معلمي في الهضاب وقدوتي"[2]

حاول آدم أن يعطي لحياته معنى وقيمة، من خلال استحضار ما عايشه في الماضي، ليقاوم الألم النفسي ويعارك الكرب، ساعده التذكر على استعادة التوازن ، وعلى ترميم أشلاء ذاته الممزقة، عبر عملتي الإفراغ وإعادة الشحن، لقد أحدث انفصاله المادي والمعنوي عن أهله وأسرته شرخا كبيرا في نفسيته، ومزق فضاء ألفته، فحاول استجماع شتاته بتذكر أمايا ويونا، تسكنان روحه، تبقيانه حيا، يكافح لأجل استعادتهما، يأتيه

*-أسطورة شعبية في أقصى الغرب الجزائري فحواها :أن القرد في الأصل انسان كان غنيا طيبا غريب الأطوار، مولعا بالتجارب ليقتنع، لم يجد يوما ماءا ليتوضأ، فتوضأ باللبن فمسخه الاه الى قرد عقابا له.

(1)الرواية ص 194 .

(2)المصدر نفسه ، ص227

صوتها من أنفاق بعيدة، "آدم حبيبي جسدك هش وحساس منذ انتميت إلى مخبر الموت هذا، حافظ على نفسك أرجوك، أريدك في صحة جيدة، نكبر معا، ونفرح معا، ونموت معا، لا حياة لي بعدك يا فرحي"[1]ظل ماضيه الجميل رفقتها خيط الأمل الذي ينشله من بحر الضياع ومد التيه اللامتناهي "يسمع ضحكة أمايا وهي تقفز من مكانها ، والماء يتمزق تحت كعبيها ..جباااااان...خواااف من المطر خذني ...اجر بي حيث تريد ... اجر ... خذني ولا ترجعني إلى هنا، .... يركضان، عاشقان في مهب الجنون، ثم يرقصان على موسيقى وحدهما كانا يسمعانها ... "[2]يتذكرها باستمرار، حين تنتشي به، برائحته المميزة التي هي من رائحة تراب وطنه "مزيج من المطر، التراب والنبات البري وصدف البحر والمرامية والنعناع وطفولة لم تمت أبدا"[3]استمر آدم طوال خمسة سنوات يكتب لها، كلما شعر بوطأة المكان وثقل الزمن وازدادت وحشته "أمايا الحبيبة، لا أعرف أين أنت؟ في هذا الفراغ الأصفر لا نفعل شيئا لكي نستمر في الحياة، إلا الكتابة، الليلة رأيت رماد، رأيته عن قرب في الحلم ... أحتاج إلى أن ألبس العقل لأراك قليلا في ألم عزلتك، أن أتلون بك ولأكون أقرب لك من أنفاسك، ولا ألوم نفسي لأني ضيعتك، في غابة الخوف وبقيت بلا دليل"[4]

لقد منحت الذكرى لآدم فرصة مواصلة المسار، والقدرة على تلمس المخاطر بقلبه، وتخطي العتبات، أن يكون هو لا غيره، وإلا سيخسر نفسه.

لا يزال آدم يكتب بلغة أجداده التي انقرضت وتوحشت كأهلها، وهو مستمتع بذلك، يقاوم بها العنف المؤسس ضده، وتهميش الآخر له، عدم الاعتراف بجنسيته الأمريكية، جعله يشعر بالمفارقة بين وطنية زائفة مثبتة في الأوراق الرسمية، وأخرى أصلية، عريقة، متأصلة، راسخة في الوجدان، "لا أدري يا مارشال لماذا لم يدخل في عقلكم أنني أمريكي،

(1)المصدر السابق 298.

(2)المصدر نفسه ص (70-71)

(3)المصدر نفسه ص88

(4)المصدر نفسه ص45

ولست في حاجة إلى لجوء سياسي ولا إلى زواج من أجنبية، أنظر في القلعة كم من أصل فيها في ناسها وفي حجارتها أيضا، وكم من دين؟ ألا يهزكم هذا؟ نعم كبرت في آرابيا والدي وأجدادي وأختي تالا منها"[1]

افتقاد آدم للألفة أوقعه تحت توتر مكثف احساس فاجع بالاقتلاع واللاانتماء، اغترابعن المكان لذلك لملم سيرتهالمتشظيةبألبوم من الصور والذكريات والأحداث الهاربة، والفضاءات الضائعة، تصب كلها في غاية واحدة، هي التأصيل للذات، فبالذاكرة يصمد المرء أمام الزمن ويحافظ على كيانه وهويته.

**ثالثا: آدم المخدوع**

السياسة فن الخداع والمراوغة والتلاعب بالعقول والقلوب، والحرب حيلة وخداع، إذ لطالما أجاد الغرب الاستعماري استخدام فنون التضليل والكذب، فأطلق الوعود الكاذبة، وباع الأوهام للشعوب.

بذلليتل بروز ومساعدوه وكبار القادة العسكريين جهودا كبيرة في اقناع آدم بأن وجوده في قلعة أميروبا إنما هو بدافع حمايته من المتربصين به، تم انقاذه من موت محتوم، من تنظيم تشادو الذي حاول اغتياله والتنظيم الارهابي الذي خطط لاختطافه، كلف سميث الصديق بالأمر، لامه على الخطأ الجسيم الذي ارتكبه حين زار والده في مستشفى فال دوغراس بباريس، ثلاثة أشخاص دفعوا أنفسهم ثمنا لإنقاذه، أراه شريطا مصورا من خمسة عشرة لقطة، أحداثه مكثفة يتخللها بياض ونقاط سوداء تؤكد وجود مواطن تقطيع ولصق "رأى نفسه في مطار رواسي شارل دوغول2 يجتاز شرطة الحدود بعد أن راقبت جواز سفره، بياض يتجه نحو الخارج وهو يتلفت، وصلت الطائرة متقدمة بياض في الخارج، حركة عادية، توقفت سيارة حمراء صغيرة تخرج منها أمايا تلوح بيدها، اتجه نحوها، تفصل بينهما حافلة الخطوط الجوية الفرنسية، بياض طلق ناري يفرق الكل

(1)المصدر السابق ص375

هلعا، يهاجم ثلاثة رجال يرتدون الأسود أدم، يضعونه في سيارة، ينطلقون بجنون، يتكاثر الرصاص ، يموت خمسة رجال، بياض ، أناس يصرخون، سيارات الإسعافات، الحافلة مكسورة الزجاج ومثقوبة"[1]

ذهل آدم لهول ما رأى، جمّ عن الكلام والتفكير، ما يراه أشبه بفيلم بوليسي، سأل بسرعة عن أمايا، أين اختفت؟ طمأنه سميث "المنطقي أن تكون قد اختفت وراء الحافلة، مما يجعل سلامتها مؤكدة، لم تكن في مساحة الموت التي كنت فيها، ثم إن الحافلة على الرغم من تكسر زجاجها قد وفرت لها حماية لم تتوفر لغيرها"[2]أكد له أنها من قدم شكوى رسمية باختطافه، لكنها تجهل مكانه لأسباب أمنية.

الأنانية ومبدأ الغاية تبرر الوسيلة، سلاحان استخدمهما الآخر لتحقيق مطامعه الامبريالية ومصالحه الاستعمارية ،أبرزها السيطرة على وسائل الاعلام والتكنولوجيا في طليعتها، برامج المقابلات الافتراضية، وهي برامج عسكرية تعمل بتكنولوجيا متفوقة و دقيقة، وظفها ليتل بروز رفقة فريق من المهندسين المتخصصين في الحاسوب لخداع آدم، يعمل البرنامج على عمليات تركيب الصور بدقة متناهية لخلق أشباه متطابقة تماما للواقع، انطلاقا من جمع صور ومعلومات عن الشخص المقصود، ثم يتم تخزينها والعمل عليها ويترك أمر التركيب للكمبيوتر، يفرض الأمر وجود لقطات تقطيع ولصق للصور ومؤثرات صوتية وأخرى لونية و هناك إمكانية حدوث تشويش وانقطاع.

شاهد آدم الشريط المفبرك "أمايا كما يعرفها بصوتها الناعم تسأل عن صحته، ومكان تواجده وكيف يعامل؟ طمأنها بقوة، سأل بشوق عن حالها ويونا، انتبه للجرح في ساقها، هو جرح الانفجار في مطار رواسي، أخبرته أن يونا تعمل مراسلة اجتماعية مع قناة أمريكية في المناطق الفقيرة، وشجعته على المضي في مشروعه النووي السلمي لردع الإرهاب، أخبرته أنها قد فتحت مشفى عالميا في نغازاكي لمعالجة حروق الإشعاعات

(1)المصدر السابق ص(215-218)

(2)المصدر نفسه ص220.

النووية، وأبدت فخرها بخبر فوزه بجائزة نوبل، كما حثته على مساعدة سكان آرابيا، فهو العربي الأخير و عليه مسؤولية إعادة بعثهم من جديد، مازحها آدم بجملة: نحبك ونموت عليك، قالها بالعربية، انتظر أن تعيدها بعربية مكسورة كما تعود ذلك منها "أإبك أو موت ألك" كرر الأمر لكن هيهات، دارت أمايا يمينا وشمالا، فجأة اختفت صورتها، ليظهرليتل بروز وسط الأناشيد الحربية"[1]فرحته برؤيتها عبر الساتل لا توصف، لكن صوتها الفولاذي وتحول رأيها المفاجئ حول القنبلة أربكه وبعث فيه الشك، بدت غبية، كدمية إلكترونية. بلع آدم الطعم وصدق ما رآه، واصل أبحاثه مقابل وعد برؤيتها قريبا، وحين فرغ منه تلقى رسالة من سميث عن طريق الميجر توني، تضم مفتاحا طالبه بوضعه في جهاز العرض ومشاهدة فحواه، رأى نفس المشاهد ومشهدا آخر، أمايا تركض نحو السيارة التي اختطفته، تصرخ "سمع صوت طلقا ناريا، أتى من الجهة العليا، تسقط أمايا على الأرض، تحاول أن تقوم لكنها تسقط ثانية، الكاميرا تصور من الأعلى نحو الأسفل، أمايا بلباسها الناعم الفاتح في بركة ثقيلة من الدم على مستوى الرأس"[2]مسحوا المشهد ليبقوهفي المشروع، لفه الذهول من كل جانب، وحوطه الشك، دوامة من الحزن والحيرة، تفصله مسافات عن الحقيقة، لقد قتلوها.

تفرد الآخر البراغماتي بقدرات مافياوية، تغذيها ميكيا فيلية عالية، فمارس كل الألاعيب الشيطانية، شعاره "التكنولوجيا في خدمة الخير ؟؟فطوع الغير المختلف عنه، وحوله إلى مجرد صدى، متلاعبا بمصيره فكرا وروحا.

(1)المصدر السابق ص(246-251)

(2)المصدر نفسه ص420

**رابعا: الأنا المتحضر:**

**1-في مجال العمران:**

غذت الحضارة الانسانية التي نعيشها اليوم، روافد عدة، يأتي في مقدمتها الحضارتين اليونانية والرومانية بعد رافد الحضارة العربية، الإسلامية القديمة، الذي بعث الروح في التراث الأعجمي وأحياه ليسلمه للإنسانية حاضرا متطورا، بحيث لا يمكن للتعصب الأعمى أن يحجب شمس حضارتنا التي سطع نورها على العالم قرونا ثمانية.

شهدت الرواية على أن العرب في تاريخهم الماضي كانوا أصحاب حضارة انسانية راقية، منحت البشرية الخير، وأنهم كانوا أساتذة في علوم وفنون شتى، لعل أبرزها فن المعمار أو العمران،فقلعةأميروبا في تاريخها الأول "تعود لقبائل كنعانية* لم يبنوها، لكنهم رمموها ورفعوا أسوارها،و أهلوها ثم سكنوها واحتموا فيها من الحروب، وقد كان للعرب الفاتحين فضل كبير في تحريرها وترميمها بعد تعرضها للحرق والتدمير من قبل

الرومان تارة والبيزنطيين تارة أخرى والتتار تارة ثالثة، فتحت في الفترة الاسلامية عام 636هـ بقيادة خالد بن الوليد وأبي عبيدة بن الجراح، بالحيلة والخداع وليس بالقوة والسيف، وفي العهد السلجوقي*، جدد نور الدين حصونها وأضاف لها الكثير من المباني، منها قصرا ومسجدا، وجعلها مقرا لحكمه وإقامته، وفي العهد الأيوبي* طورها

---

قبائل كنعانية: لا يعرف سبب هذه التسمية بالضبط، أما كنعان فهي منطقة سامية اللغة تشمل اليوم: فلسطين، لبنان، الأردن، سوريا، وهم أول الشعوب التي قطنت الشرق الأوسط، بعد وصولهم من افريقيا عبر مصر، قادمين من فلسطين، حوالي 3300 ق م.ينظر :(كنعانيونhttps://ar.wikipedia.org//wik/يوم 18 مارس 2017 الساعة :12:44)

-*العهد السلجوقي: (1037م-429هـ)(1157م-552هـ) مؤسسها: طغرل بيك، من سلالة السلاجقة نسبة إلى سلجوق بن دقاق، سلالة تركية من قبيلة قنق، هي من أكبر الدول في تاريخ الدولة العباسية والحروب الصليبية والصراع الإسلامي، آخر سلاطينها أحمد سلجر..ينظر: (الدولة_السلجوقيةhttps://ar.wikipedia.org//wiki/يوم 24 مارس 2017 الساعة :07:57)

- * العهد الأيوبي: الدولة الأيوبية دولة إسلامية نشأت بمصر، شملت الحجاز، اليمن، الشام ، وبعض أجزاء المغرب العربي، مؤسسها صلاح الدين يوسف بن أيوب، (1174 - 1252م) انتهت بسقوط حكم السلطان الأشرف الثاني موسى. ينظر:. (الدولة_الأيوبيةhttps://ar.wikipedia.org//wiki/يوم 26 أفريل 2017 الساعة :21:11)

الظاهر غازي بن صلاح الدين*، وزاد بها قصرا، ورد هجمات المغول ضدها، ثم رممها الأشرف خليل بن قلاوون* عام1292مبعد أن دمرها هولاكو وأحرق مآذنها وكنائسها ومعابدها، وفي عام 1415م، شيد السلطان الملك الناصر بن برقوق* سورها و بنى بها قصرا"[1]

هندسة القلعة دليل على براعة الأنا العربية، وعبقريتها الفنية حسا وتخطيطا، فالأسوار الحجرية شديدة الارتفاع، تضم أبراجا دفاعية أساسية، وأخرى فرعية، نصبت عليها العديد من المدافع، تعود الحجارة إلى العهد الأيوبي والمملوكي، وبعضها إلى ما قبل الفتح الإسلامي تقع في محيط مائي، يلفها خندق مائي، لذلك دعمت حجارتها الخارجية بمسامير حديدية لمنع التأكل، تتزود بماء يأتيها من نبع تحت أرضي.

زينت بنقوش معمارية وكتابات فنية تؤرخ لانتصارات العرب الفاتحين، تحت جدرانها وأعلى أبوابها وفي بهوها وردهاتها.، وفي قاعاتها صور أسود وثعابين برؤوس أربع وأشجار نخيل.، تحوي أماكن و ممرات سرية وفتحات بارزة، كما تضم مخازن إما للماء أو الحبوب والمؤن وعلف الحيوانات.، على الجدار الأيمن لمدخلها كتابة، تشيد بانتصار الجيوش العربية على الأرمن والتتار والصليبين

---

- *الظاهر غازي بن صلاح الدين: و 1172م–ت1216م، عين واليا ثم حاكما على حلب، من 1186 حتى وفاته، هو الابن الثالث للملك الناصر صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب، خاض حروبا عدة ضد الصليبيين ..ينظر: الظاهر غازي/https://ar.wikipedia.org//wikiيوم:12ديسمبر الساعة:07:25
- *الأشرف خليل بن قلاوون: هو الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن الملك المنصور سيف الدين قلاوون(و:1267م بالقاهرة–ت 1293م) ثامن سلاطين الدولة المملوكية البحرية، فتح عكا وقضى على آخر معاقل الصليبيين في الشام ينظر:.(الأشرف_صلاح_الدين_خليل/https://ar.wikipedia.org//wikiيوم 09 أفريل 2017 الساعة :12:59)

*الملك الناصر بن برقوق: هو الناصر فرج بن برقوق(1399م–1405) سلطان مملوكي تولى عرش مصر بعد وفاة والده، وعمرة 13 عاما، سادت الفتن والاضطرابات عهده، انتهى حكمه بالقتل وتولى مكانه الخليفة المستعين بالله أبو الفضل العباسيينظر:.(الناصر_بن_برقوق/https://ar.wikipedia.org//wikiيوم 26 أكتوبر 2016 الساعة :07:14)

(1)ينظرالرواية ص (125–127).

وتظهر براعة الأنا العربية في مجال بناء السدود أيضا، إذ اشتهر سكان تارزا الجنوبية ببناء السدود مثل سد مأرب الذي بناء السبئيون قديما "السد الكبير الذي بني على أنقاض سد تاريخي مارابا الذي بناه السبئيون في القرن الثامن قبل الميلاد، وكان يروي قرابة المائة كيلومتر مربع من الأراضي"[1]لقد أحكموا هندسته وبنائه ليقاوم كل الهزات والضربات العنيفة التي طالته عبر الزمن "بني بالحجارة الصلبة المنحوتة التي لا تمرر المياه وألصقت بالجبس واستخدمت فيه قضبان أسطوانية من النحاس والرصاص طول الواحدة قرابة العشرين مترا، توضع في ثقوب الحجارة فتتحول إلى مسامير واقية من الانهيار وهي التي حمته من الهزات العنيفة"[2]

تغيرت القلعة في شكلها الخارجي رأسا على عقب، إثر سيطرة الآخر عليها ، لقد حولها إلى ثكنة عسكرية شديدة التعقيد والنظام، أصبحت حصنا منيعا، زودت بأدق آلات الرصد والمراقبة، وأحيطت بأسلاك كهربائية شائكة، استبدلت أبوابها الحديدة بأخرى فولاذية أوتوماتيكية، أخذت شكل موشور مقعر، مرمي في الرمال ، كما الكنائس القديمة، يعلوا سطحها صليب، خصصت العديد من قاعاتها للحجز والتعذيب، أو اجراء العمليات والأبحاث السرية على المسجونين بها،

لقد قصد الآخر الاستيلاء على المكان وسلب بعده التاريخي والإنساني، وتشويه معالمه، فالمكان هو وجود الإنسان واغتصابه هو تهديد بالغياب والهدم، وبما أنه فعل وجود، و فعل وعي، بالهوية ، فإن الآخر يعمل على اكتساح مكان الأنا، سعيا منه إلى حرمانه من مبرر الوجود، وزعزعة الهوية ، فالقلعة في الرواية تؤدي وظيفة رمزية استعارية، لقد أضحى الوطن فضاءا غريبا، ضاقت فيه دائرة الأنا وتقلصت، عنواناللاغتراب، يقف في وجه الانتماء والهوية، وبدل أن يكون فضاء الحرية والألفة والأمن، أصبح فضاء السجن، القهر، المتاهة، الخوف والدمار.

(1)المصدر السابق ص98.

(2)المصدر نفسه ص98

**2-في مجال النووي**

آدم عالم عربي الأصل أمريكي الجنسية، أرسل من آرابيا الغربية إلى أمريكا في بعثة علمية نظرا لتفوقه في الدراسة في الرياضيات والفيزياء والكيمياء، انتسب إلى جامعة بنسلفانيا: تخصص في مجال الفيزياء النووية، أظهر نجابة ونباغة لا تضاهى مما دفع الكثير من المخابر العلمية إلى التسابق نحو ضمه إلى فريق علمائها، لآدم من الخبرة رصيد جيد فهو يعرف الغرب الامريكي جيدا، لقد عاش معظم حياته فيه، كطالب أولا، ثم كعامل به، فهو ضليع بلغاته وثقافته وتفكيره ونمط عيشه "يعرف الانجليزية التي كبر في أحضانها، الفرنسية، الإسبانية، الألمانية، تعلم بسرعة الأورو لينغوا التي أصبحت لغة الجميع"[1]أظهر في صغره ميلا الى الأدب والشعر، فكتب في مراهقته قصائد شعرية "كان يمكنأن يكون المتنبي أو إليوتأو شيلر أو وايتمان أو مالارمي أو رامبوا الذين شكلوا وجدانه،ومع الزمن نام الشعر فيه لكنه لم يمت"[2]

لم يكن آدم محكوما بعقدة الصغار أمام الأجنبي، ولا بشعور التفاهة والضآلة نحوه، فصلته بالآخر بدأت عبر المثاقفة والانفتاح، إذ أسهم تكوينه وترحاله في فضاء الآخر في تطوير خبراته وتكوين هويته المتعددة، التي غذتها عناصر كيميائية تفاعلت فيها ثقافات مختلفة، وتمازجت فيها أفكار وايديولوجيات متباينة، جعلت منه شخصية استثنائية مميزة ذات خبرة في استيعاب الآخر ، لا يميل إلى الدهشة ولا يتظاهر، بل يفعل ما يروقه وما يولد له اطمئنانا ، لقد أثبت نفسه في عالم يقصي الآخر من حساباته، ويحكم عليه بالنظر إلى هويته وانتمائه الضيق، بتفوقه العلمي وحده رشح لنيل جائزة نوبل تقديرا لأبحاثه العظيمة في خدمة الانسانية، فالكثيرون يحسدونه على نجاحه، والعديد من المؤسسات والمجلات العلمية تتابع جهوده، لقد شاءت الأقدار أن يكون " خبيرا عربيا نوويا، يملك معلومات دقيقة، وفي رأسه كل قواعد العمل النووي وأرقامه، وكانت أبحاثه

(1)الرواية ص24.

(2)المصدر نفسه ص41

من وراء فتوحات علمية كثيرة"[1]يعمل آدم على رأس فريق من العلماء على مشروع إعداد وتطوير قنبلة نووية لأغراض سلمية للتقليل من ويلات الحروب، والدمار الشامل، وفعلا تحقق المشروع واستحق آدم جائزة نوبل بجدارة، وامتلأت شاشات القلعة بالتبريكات واصطفت الشخصيات تهنئ العالم بالنجاح " تبارك قلعة أميروبا ممثلة في الجنرال دافيد حيون دوغلاس، ليتل بروز، لأحد أهم باحثيها السيد: آدم غريب، بفوزه بجائزة نوبل للفيزياء، يستحقها بقوة، فهو سيد السلام مع رفقاء مخبره الذين استطاعوا أن يتحكموا في الإشعاعات الخطيرة مما يسهل اليوم استعمال الأسلحة الفتاكة في دوائر ضيقة ضد كل من يهددون السلام العالمي والانسانية"[2]

عمد الكاتب الى أن يكون آدم عالما عربيا في صميم الدقة التكنولوجية و أن يكون المالك الوحيد لأسرار القنبلة ليؤكد من جديد- بما لا يدع مجالا للشك - أن للعرب و المسلمين كل الفضل على الحضارة الانسانية، فالتاريخ يشهد أن الغرب قد بنى مجده وتطوره بناء اعلى المعارف الأساسية و الارث العلمي الذي أخذه عن العرب والمسلمين بدءا من القرن 12 م فقد سبقوا غيرهم الى أهم الاكتشافاتالتي خدمت الحضارة و الانسانية قاطبة..

**خامسا: آدم _ التفوق الرياضي:**

برع آدم في مجال النووي، وتجاوزه إلى حقل الرياضة _ خاصة العدو السريع، لقد حصد العديد من الجوائز المحلية، وشارك في العديد من البطولات إبان كان طالبا في الجامعة الأمريكية "لن تقول لي لاحقا عندي التزام للركض في بالتمور، في نيويورك، وواشنطن ، عندي مشاركة في دورة الأبطال في تكساس، عندي التزام مع شيكاغوسبور، سأشارك في سباق بطولات الجامعات الأمريكية"[3]لقد أحب الرياضة كثيرا واحترف فيها،

(1)المصدر السابق ص304

(2)المصدر نفسه ص426

(3)المصدر نفسه ص116

لكنه لم يفكر في تطوير ذاته في هذا الميدان، ظل فكره مسحورا بالبحث العلمي، مثّل جامعة بنسلفانيا في دورات كثيرة وأحرز نجاحا باهرا في العديد منها تحت تهليلات وتصفيقات الجماهير الطلابية المشجعة من أصدقائه "أركض يا آدم هكذا كانوا ينادونه ...أركض ... لا تتركهم يتجاوزونك لا تتوقف يادام أنت البطل، أنت البطل"[1]ظل بطلا هاويا إلى أن توقف مشواره الرياضي إثر تعرضه لانزلاق غضروفي أقعده طويلا، تبين خطره فيما بعد إن هو واصل الركض الاحترافي أو الأولمبي، وأوضحت التحليلات انتهاء علاقته بالرياضة، حسم هذا الحادث خياراته فاختار دراسة الفيزياء، والتفرغ للبحوث العلمية، "الحظ أحيانا يضبط الأمور بدقة، كان يمكن وقتها أن أكون أول بطل عالمي أو أولمبي في فريق ألعاب القوى الامريكي ، وأكون أو شخص أبيض يحصل على هذا التشريف، إذ لا ينافس الامريكان السود والأفارقة في هذا"[2]استمر آدم في الركض وهو سجين في قلعة أميروبا، في المدرج القديم، طريق الحديقة الواسع، فالرياضة هي المتنفس الوحيد الذي يدفع به عزلة المكان ووحشته، ويقاوم به العدمية المقيتة، تعيد له ما فقده من ذكريات جميلة، وتزرع فيه الأمل في قلعة الموت والمرض، هذا الحق استطاع أن ينتزعه بالقوة بفضل جهود وكالة ليدرافيك-منظمة الدفاع عن حقوق الأجناس الآيلة للزوال- خاصة إيفا.

**سادسا: الأنا الثقافي:**

المثاقفة إحدى الصيغ العادية للتطور الثقافي لكل المجتمعات، وهي ظاهرة محايثة للوجود الانساني و ميله الفطري للتواصل مع غيره، و قد انبثق هذا المصطلح من حقلي الأنثروبولوجيا و السيسيولوجيا، تحت مصطلحات متعددة، فهي عند الأمريكان مثاقفة، و عند الاسبان تحول ثقافي،أما الفرنسيون فقد آثروا مصطلح تداخل الحضارات.

(1)المصدر السابق ص115.

(2)المصدر نفسه ص156.

و قد عرّفها محمد سليمان فقال: «هي تفاعل خياري طوعي لا يتم و لا تجنى ثماره إلا برغبة تبادلية بين المتثاقفين، و لا يمكن أن تتحقق أبدا في حالات الاختلاط القهري الناتج عن الحروب و الاحتلال، إذ ينجم عن ذلك الاختلاط تشوهات ثقافية "لا تتمتع بأية سمة من سمات المثاقفة الطوعية"[1] فهي بهذا التعريف تفاعل، اختياري حر بين ثقافات مختلفة ،علاقة تأثر و تأثير متبادل، نتيجة احتكاك بينها، بحيث تأخذ كل ثقافة عن غيرها وتعمل على تأصيل المقتبس في كيانهاأخذا و عطاءا، يؤطر هذا التفاعل عوامل عديدة منها ما هو اضطراري و منها ما هو اختياري، رغبة في النمو وحرصا على التوازن مع باقي الثقافات أو بحثا عن التميز و التجدد، يتحكم فيها الظروف و السياقات التاريخية و الوسائل الموظفة. فالمثاقفة إذن إفراز طبيعي و حتمي لفعل التواصل الإنساني الحضاري فقد "أثبتت التجارب التاريخية لمختلف الحضارات، أن التفاعل الثقافي عامل أساسي من عوامل نموها و ازدهارها و ذلك بفضل ما يحدثه من إثراء و إخصاب لها و تنويع في روافدها و تنشيط و شحذلقدراتها و إبراز لطاقاتها الكامنة"[2] فالتواصل هو منطلق التحضر البشري و الأساس الذي بنى عليه الإنسان تمدنه و حضارته الكونية التي هي ثمرة جهد مشترك بين الشعوب و الحضارات، لذلك شبهت المثاقفة بـ"اللقاح الكفيل بابتكار مبادئ و قيم مستحدثة و إنجاب تصورات و خيارات جديدة أقدر على السمو بالوضع البشري و أنجح في تحقيق رقيه و فتح الآفاق العريضة أمام مستقبله"[3].

و لكي يتم لها ذلك وجب أن تقوم على التساوي و التسامح و الاعتراف بالآخر المختلف و احترام خصوصيته، و هي على نقيض الغزو الثقافي، الذي يؤسس لثقافة التمركز على الذات;ونفي الأخر و قهره، و إلحاقه بالانا، وفرض التبعية عليه، و معاملته باستعلاء و غطرسة.و هو حال التثقف العربي الذي عبر عن علاقة احتكاك لاإرادي بين

(1) محمد باسل سليمان: "المثاقفة، تفاعلات و استيعابات"،الحوار
www.m.ahewar.org/s.asp§aidيوم:2008/04/25

(2) محمد عمارة– العطاء الحضاري للإسلام، سلسلة اقرأ رقم 26، دار المعارف، القاهرة 1997، ص 129

(3)المرجع نفسه، ص 129

الطرفين، طرف ضعيف مقهور، سلم مسبقا بتفوق الآخر علميا و ثقافيا حضاريا و عسكريا، فكانت المثاقفة أحادية الجانب مبنية علىتبادل لا متكافئ احتل فيه الطرف العربي دور المستهلك السلبي، في ظل سطوة النموذج الغربي، هذا الوضع دفع بالكثير من المفكرين و الأدباء العرب إلى الاتصال بالثقافة الغربية بغية خلق وعي ذاتي.

و تأتي الرواية –بما لا يدع مجالا للريبة–لتكون ثمرة من ثمرات الاتصال بالغرب "فالرواية العربية باعتبارها جنسا أدبيا جديدا و شكلا له تقنياته الحديثة غربية الأصول لكونه الفن الأكثر استيعابا للتجارب و التقنيات الغربية الحديثة، مما جعل بعض الباحثين يمنحون صفة الأبوة الشرعية للرواية الغربية بالنسبة للرواية العربية، و أن التحدي الأكبر في هذه العلاقة هو صعوبة تخلص الابن من أبيه أو فك الارتباط به في سبيل إيجاد هوية عربية روائية من الناحية الفنية الأسلوبية، لأن استيراد نمط.أدبي معين يعني استيراد ذهنية ثقافية مغايرة و غرسها في واقع ثقافي آخر له خصوصياته "[1].

و قد شكل موضوع الغرب محورا مهما في الرواية العربية فحاولت أن تجيب عن الكثير من الأسئلة المتعلقة بالهوية و الوعي بالذات و بلوة الكيان، و أخر تتعلق بفهم الآخر الذي بات يسكننا ويتغلغل في نسيجنا الاجتماعي و الفكري و صار جزءا من التاريخ الشخصي للأديب و التاريخ القومي للوطن ، فالغرب يحضر في متنها و في بنائها الفني.

و بازدياد حدة الصراع بين الشرق و الغرب ازدادت حيرة المثقف العربي في موقفه من الغرب الذي صار المرآة التي نرى فيها أنفسنا، بين غرب التحرر و الانعتاق و الانسانية ، و غرب السجن و الانسحاق و التبعية، غير أن توالي النكسات و الهزائم

(1 ) جمال مباركي، الغرب في الرواية العربية الحديثة، بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب العربي الحديث، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها (2008–2009)،ص109.

العربية على يد الغرب العدائي سرع في أفول النظرة الانبهارية ، فاتجه المثقف العربي إلى نقد ذاته و الأخر بعيدا عن القراءة المغلقة.

لقد تشرب واسيني الأعرج من الفكر الغربي و الإنساني العالمي و استفاد كثيرا من أقطابه البارزين، من فنانين و مفكرين و أدباء و فلاسفة، و استدعى في روايته نصوصا غربية، حاورها و حورها و برع في ادماجها في نسيجه الروائي ليؤدي باستدعائها وظائف دلالية مختلفة تبعا للسياق الذي أوردها فيه:"فالتلاحق الثقافي بين الرواية العربية و المنظومة الفكرية الغربية واضح في متن الرواية العربية، حيث جاءت محملة بالمقبوسات أو تحويل أو تشرب أقوال من نصوص غربية مغايرة أو متفقة في الجنس و النوع و النمط على شكل تداخل نصوص أو تناص بينها و بين الفكر الغربي، في الصياغة و الدلالة و طريقة البناء أي أن النص العربي في صيغته العلائقية يحاور بنى نصية غربية عديدة، قد يكون هذا الحوار محاكاة للبنية الهيكلية لبعض النصوص الغربية، أو يدخل في علاقات متشابكة مع نصوص أخرى كثيرة مستدعيا أو مقتطفا منها عناصر نصية بمثابة أجنحة نصية تثري التجربة الروائية,[1]

لقد حفل نص الرواية بالعديد من الأفكار الغربية و فلسفاتها بوصفها مرجعية فكرية و نصية، يستند إليها الروائي يستدعيها، يحاورها ثم يدمجها في نسيج تجربته الروائية بما ينسجم مع فضاء نصه الجديد «اسم الرواية(2084 حكاية العربي الأخير)و سحب واسيني الأعرج فيها على العالم العربي، بل على العالم كله أجواء بل تفاصيل كثيرة أحيانا من رواية 1984 للبريطاني "جورج أورويل" و اسمه الحقيقي إريك أرثر بلير"... و هناك شبه بين الرواية و رواية (عالم شجاع جديد) التي صدرت سنة 1932 للروائي و الفيلسوف البريطاني ألدوسهكسلي و رواية(وى)أو (نحن) للروسي يفجينيزامياتين التي صدرت سنة 1921 أشياء كثيرة في 2084 حكاية العربي الأخير)تشبه ما ورد في رواية

(1) صبحي الطعان: عالم عبد الرحمان منيف الروائي(تنظير و انجاز)، ط1، دار كنعان للدراسات و النشر،دمشق 1195.ص 211-212.نقلا عن جمال مباركي : الغرب في الرواية العربية، مرجع سابق ص 408.

أورويل، بل أن الأولى تستند إلى الثانية و كان أورويل قد سمى الرواية سابقا قبل اختيار الاسم الحالي(الرجل الأخير في أوروبا)[1]

فالتناص و الإيقاع بين الروايتين واقع في المآلات و النهايات ،و في الرؤية الاستشرافية التنبؤية، فقد استشرف أورويل روايته في نهاية الحرب العالمية الثانية، إبان كانت أوروبا منتشية بانتصاراتها على النازية، و في عز الفرحة، دق أورويل جرس الإنذار محذرا من الحرب الباردة الشؤم.

وقد صورت روايته مجتمعا شموليا يخضع لدكتاتورية الأخ الأكبر و اعتمد في بنائها على المفارقة منطلقا من التفاؤل إلى التشاؤم غير أن الأعرج خالفه في ذلك فسارت الرواية من لحظات تأزم و صراعا لتنذر بفناء و تمزق و انقراض الجنس العربي.

و من يقرأ رواية الأعرج سيجد الكثير من شخصيات أورويل ، لكنه قام بقلبها و إسقاطها على الواقع العربي الذي يعيش توترا اجتماعيا و ثقافيا و غليانا سياسيا.

"كما أن الروائي قد اختار لعمله الإبداعي «العربي الأخير" الإيقاع و السرد البوليسي بما يماثل أسلوبية رواية"اسم الوردة" ل. أمبرتوايكو"مبينا أن اسم البطل آدم غريب يحمل رمزية بدء الخليقة بما تتضمن من مدلولات"[2]

لقد مارست رواية جورج أورويل سحرها على الأعرج فكانت نصا مرجعياذاسلطة سلطوية عجيبة كونها تركز على فكرة الرقابة الإعلامية التي تحاصر أدق أنفاس البشر في مجتمع يبدو في ظاهره حرا، و تشدد الرواية على أن الإنسان في عز فرحته و نشوته عليه أن يرى ما خلف اللوحة.

---

(1)رويتز واسيني الأعرج يسحب رواية جورج أورويل1984 على العالم العربي، يوم الخميس 10مارس2016 الساعة:11:17 .www.youm7.com/story/.../2622507

(2) عمون:واسيني الأعرج "رواية العربي الأخير" تستلهم أجواء 1984 لجورج أورويلبإسقاط عربي يوم 2016/05/17 الساعة 6:24 .www.ammonnews./article/269347

يستلهم النص العربي من النص الغربي سواء مس التعالق طريقة البناء الفني العام، أو بناء الشخصية الروائية بأبعادها النفسية و الفكرية و سلوكياتها و انشغالاتها، فقد تفرض بعض النصوص الغربية نفسها على النص العربي ذلك" أن النص المميز يخلق حقيقته و يولد مفاعيله و يفرض نفسه و لا محيد لأحد على الوقوع تحت تأثيره."[1]

استشهد الأعرج بكثير من مقولات الأدباء الغربيين ليمنح خطابه كثافة و قوة من تلك المقبوسات رأي نيتشه في الحب"لم يكن نيتشه مخطئا عندما اعتبر الحب مفسدة للإنسان و تدميرا لفاعليته"[2]

و في سياق آخر ذكر الشاعر الروسي بوشكين الذي أحب "ناتاليا و بارزه البارون جورج شارل دانتيس لأجلها، لكنها فضلته عليه «لو مات بوشكين بشكل عادي لما ترك الأثر العظيم في قلوب الناس، لم تكن المبارزة عادلة ، و هذه قوتها، البارون يعرف إدارة السلاح بينما الشاعر لم يكن يملك أكثر من قلبه ليقول لنتاليا كم هو مرتبط بها".(3)

هذه النصوص و المقبوسات لم توظف عشوائيا لم تكن مقحمة الا نادرا فقد وردت متلاحمة مع النسيج الروائي، يعبر من خلالها الروائي عن رؤاه و فلسفته.

وقد" كانت تلك المقبوسات موظفة ببراعة لخدمة الفن السردي الأمر الذي يمكن من الزعم أن الروائي المعاصر في مقدوره أن يكون كاتب ثقافة و خالق فن في الوقت ذاته يقدر على المراوغة و الإيهام، كما يقدر على إغناء أثره بمنكهات فكرية و نقدية و فنية و نفسية، تجعل منه وجبة دسمة وتسمو به عن أن يكون حكاية ساذجة لصبية

(1) رواء محمد نعاس: المثاقفة و المثاقفة النقدية(في الفكر النقدي العربي) مجلة القادسية في الآداب و العلوم و التربية العدد(3-4) المجلد7. 2008.

(2)الرواية ص 35

(3)-المصدر نفسه ص69

صغار و تحيله عملا كثيفا فيه بعد ثقافي و بعد نفسي يتجليان من خلال السرد و الحوار و المناجاة."[1]

نخلص إلى أن تصور الأنا الثقافي بعيدا عن الآخر أمر غير منطقي، فقد غدا النص الروائي فسيفساء في النصوص التي تعلقت بشكل كلي أو جزئي تسافر فيها النصوص عبر الأمكنة و الأزمنة ،و تتشرب من ينابيع ثقافية متلونة، يلتقي بعضها وينصهر في نسيج نصي متآلف متناغم، فقد انفتح النص الروائي العربي على نظيره الغربي و استفاد منه الكثير في إطار تفاعل إيجابي يقوم على الاقتباس و الاستيعاب والهضم و الجمع بين الأصالة و المعاصرة ، دفع بالعملية الإبداعية الروائية نحو الكمال والغنى و التنوع.

(1)المصدر السابق ص 135.

(2)عادل فريحات: مرايا الرواية(دراسات تطبيقية في الفن الروائي)منشورات اتحاد الكتاب العرب2000،ص 120

# الفصل الثاني

**تجليات الآخر في رواية :2084حكاية العربي الأخير:**

أولا:- الآخر الاستعماري المدَمِّر

1-امتلاك النووي

2-حروب الإبادة وتصفية العلماء

3-صناعة الإرهاب والإسلام المتطرف

4- ازدواجية القيم

5- عَزْف الوطنية

6- قمع حرية التفكير والتعبير

ثانيا:- الآخر العدمي اللاإنساني

ثالثا:-الآخر العنصري

رابعا:-الآخر المفكك وصراع المصالح

خامسا:- الآخر الشاذ جنسيا

سادسا:-الآخر الضحية

سابعا:-الآخر المتحضر تكنولوجيا

ثامنا:-الآخر الإنساني

1- أمايا الزّوجة

2- إيفا الحبيبة

3- سميث الصديق

## الفصل الثاني:

## تجليات الآخر في رواية 2084 حكاية العربي الأخير

جسدت النصوص الروائية، نماذج عدّة عن علاقة الأنا بالآخر في مستويات متباينة، سياسية وعسكرية، وثقافية واجتماعية، وكان حضور الآخر فيها متنوعاً، لم يقتصر فقط على الغربي الأوروبي والأمريكي، بل تعداه ليشمل الآخر الآسيوي الذي يشكل بدوره أخر والياباني، والإيراني...وكل من يمثل عنصراً في التركيبة الاجتماعية العالمية، إذْ «كثيراً ما ينظر إلى الغربي والشخصية الغربية بمعزل عن انتماءاتها».[1]

وقد تعددت صور الآخر وتمثيلاته تبعاً لحالات فهمه وقراءته، متأثرة بالسياق التاريخي والثقافي، فنحن لا نرى الغرب إلاّ من ذواتنا. أيًّا كانت موضوعيتها، وتجمع جلّ الروايات العربية على تسويق الغرب بصورته الوحشية، اللاإنسانية، فقد استمت اللقاءات التاريخية بين الشرق والغرب –في غالبها– بسِمة التصادم العنيف وفق قاعدة الغالب والمغلوب، كاشفة عن وجهه الامبريالي القبيح، هذا الأخير الذي مارس أبشع فنون القهر والاضطهاد في حق الشعوب الضعيفة، محاولاً محقها من الوجود واستئصالها «إنه غرب الاجتثاث التاريخي والثقافي الذي دخل البلاد العربية ناهبا للأرض، هاتكاً للعِرض، سالبا للهوية، مستخدماً كل الوسائل، متجبراً بآلة العسكرية الرهيبة».[2]

ولقد رسخ واسيني الأعرج في روايته هذه الصورة النمطية للآخر عبر المكان والزمان والشخصيات، فظهر الغربي في صورة الجلاّد المتعطش للدّم، يرفع شعارات إيديولوجية مزعومة لتبرير التقتيل والتشريد والسلب والنهب والسجن وشلّ الحريات المادية

(1)– نجم الدين كاظم، الرواية العربية المعاصرة والآخر، دراسات أدبية مقارنة، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 2007، ص 74.

(2)– جمال مباركي، الغرب في الرواية العربية الحديثة، بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب العربي الحديث، إشراف: الطيب بودربالة، جامعة الحاج لخضر باتنة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها (2008–2009).

والمعنوية، يتلذذ بإهانة الأنا العربية والحضارات الأخرى ويعيد كتابة التاريخ، وقد اِصْطُلِح على تسمية هذه الصورة باسم:

**أولا:- الآخر الاستعماري المدَمِّر:**

ترتكز النظرية الاستعمارية على مبدأ القوة والمعرفة بهدف توسيع سيطرتها على الشرق وتبرير ممارساتها القمعية: وهي نظرة تأسست على التفوق والاستعلاء في مقابل التخلف والدونية، هذا التلازم بين القوة والمعرفة أفضى واقعيا إلى الصراع الحضاري بين قطبي الشرق ونخص به الأنا العربية، والغرب ونخص به الأورو أمريكي، ذلك أن تفوقه الاقتصادي والفكري والثقافي الفاعل في الحاضر والتاريخ أوقع الشرق والحضارات الأخرى في مأزق أرغمها على تبني خياراته والرضوخ له.

وتجدر الإشارة إلى أن الوجه الاستعماري للآخر قد ارتدى أقنعة مختلفة وانتهج أساليب متباينة الوحشية لتنفيذ مخططاته أبرزها:

**1-امتلاك النووي:**

بغية امتلاك العالم، وتحقيق فكرة شمولية الحضارة الغربية وسيادتها، ركز الغربي على التفوق في المجال الحربي، «فبادروا إلى صناعة القنبلة الذرية وجعلوها سلاحاً استراتيجياً وتكتيكياً فعّالاً في تفتيت إرادة الشعوب وقهرها... إن علوم الذرة والهيدروجين وعلوم التحكم الحديثة وعلوم الالكترونيات أضحت قوة عمياء تتخطى أثارها التاريخية المدمرة حدود نظم الاستغلال والنهب التي عرفها النسق الغربي الحديث في مراحل تاريخية سابقة»[1]

فَهَوَسُ السلطة وجنون العظمة اتضح بقوة في الرواية من خلال عكوف الآخر على تشييد مخابر للأبحاث النووية، كمخبر بنسلفانيا في الولايات المتحدة الأمريكية، وآخر في أزاريا وفي إيران، وبناء مفاعلات نووية، تجري فيها الأبحاث بهدف تطوير صناعة الصواريخ الحربية والقنابل النووية، كما تم استقطاب العلماء من مختلف أنحاء

(1)- حسن الضيفة، الآخر في منظور الفكر الغربي الحديث، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1994، ص 117.

العالم، وتهجير الأدمغة من موطنها الأصلي لاستنزاف علمها منهم «سميث جوردن وزوجته لاورا اللذين أصبحا مع الوقت شريكين في العمل المخبري وكاتسومي الفيزيائي الأمريكي الياباني، الذي كان اسمه أشْبَه بالجمال المتجلي، وسمير خان الأمريكي الهندي الطيب، المختص في أنظمة الحواسيب، وابن آرابيا الغربية سيف الذي كان ناجحاً في الرياضيات التطبيقية».[1]فمعظم هؤلاء العلماء تم تكوينهم في الجامعات الغربية الأور وأمريكية، إضافة إلى الميجر توني المختص في أبحاث الطب النووي العسكري وأمايا اليابانية المتخصصة في الطب النووي المضاد للإشعاعات ويأتي على رأسهم آدم العالم الفيزيائي العربي

ولأن الأبحاث شديدة الأهمية وبالغة الدّقة وعلى درجة عليا من السرية أقيم مخبر نووي سري في قلعة أميروبا الخاضعة لنظام مراقبة محكم فقد «أضيفت للقلعة الكثير من مراكز المراقبة العالية التي ترى كل شيء وأنشئ البرج الأعلى الذي رفع حتى الطابق السابع وثلاثة طوابق تحت أرضية، ووسعت مساحة الأمان التي تمتد بشكل كبير وحُوّطت بشباك مزدوج، بمجسات عديدة تبعث موجات في شكل إنذارات»[2]، فالقلعة مكان استراتيجي يخدم المصالح العسكرية والاقتصادية لأميروبا «فهي تقع في عمق صحراء أرابيا ما يمنحها القدرة على حماية كل ممرات النفط والغاز و اليورانيوم الذي قليلا ما يذكر، ومراقبة السفن في مضيق هرمز والبحر الأحمر ومحاربة التنظيم في عقر داره وتحجيم دوره».[3]يتم حماية هذه القلعة القاعدة العسكرية بأسطول حربي مستقر في البحر الأحمر ومضيق هرمز هو سيد القرار في المنطقة بأسرها.

يحرص لتيل بروز قائد القلعة وكل القادة العسكريين فيها على حماية آدم، وتوفير الأجواء المناسبة له لينهي مشروع البوكيت بومب القنبلة النووية، وتهتم الصحافة ووسائل الإعلام المرئية والمكتوبة بأبحاثه النووية، «حتى المجلة النووية المعروفة أتوميكروسيرش؟

(1)- الرواية ص 121.

(2)- المصدر نفسه، ص 286.

(3)-المصدر نفسه، ص 311.

وهي معروفة بتخصصها وموضوعيتها، وسبق أن كتبت فيها العديد من المقالات حول موقفك من النووي الذي بدأ ينتشر بشكل واسع، بعضه بشكل معلن، وبعضه الآخر بشكل سري، وأجرت معك حوارا مطولا يوم ظهر مشروع قنبلة الجيب النووية ».[1]

توجه اهتمام الآخر بالنووي، نظرا لخطورة الأوضاع الأمنية، مما اضطره إلى ضرورة ترتيب خطط أمنية جديدة هجومية دفاعية «نحن نعيش وضعاً استثنائيا أصبحت فيه قوة إجرامية تتحدى حضارتنا كما فعلت قبل سنوات طويلة مع البُرْجَين التوأمين، ومنذ ذلك اليوم انفتحت شهية الإجرام، فحاولوا الاعتداء على المركز النووي في بنسلفانيا وفجّروا الكثير من قواعدنا في كل آرابيا».[2]والمقصود بالقوة الإجرامية التنظيم الإرهابي، هذا المد الإجرامي الذي أخذ يتنامى ويمد أصوله في البلاد العربية خاصة والعالم بصورة عامة وهو ما دفع أزاريا (إسرائيل) إلى تحصين نفسها ضده باعتبارها أقلية ضعيفة إذْ تملك بمفردها « *ما يقارب 200 رأساً* نووياً، برنامجها معروف منذ 1956، المؤسسات الفرنسية التي بنت في ديمونة أول مفاعل نووي بالماء الثقيل تعترف بذلك، وبعد سنة من ذلك بنت مصنعا لفصل البلوتونيوم، فرنسا وقفت بعدها في وجهها عندما أرادت أن تنتج قنبلة نووية».[3]فالكبار يدركون أن العالم لا يتغير إلا بمنطق القوة والمال لذلك اتجهت شركة إيبل «نهائياً نحو الاستثمار في الإنتاج الحربي والأقمار الصناعية التي أصبحت تراقب العالم والأنفاس كلها».[4]

**2-حروب الإبادة وتصفية العلماء**

يقوم الفكر الغربي في تعامله مع الآخرين على قاعدة تدمير الأنساق الحضارية المختلفة عنه، أو تعطيل دورة نموها وإعاقتها ومن ثم السيطرة عليها واستنزافها وتسخيرها وفق ما يحقق استمراريته، لذلك يمنع تشكّل نموذج مماثل له، وقد أكد الكاتب هذه

(1)- المصدر السابق ، ص 175.

(2)- المصدر نفسه، ص 312.

(3)-المصدر نفسه ص 189.

(4)- المصدر نفسه ص 57.

النظرية، "الفوضى الخلاقة" التي تبيح ارتكاب جرائم حرب وإبادة ضد الانسانية لاجتثاثها من الوجود وهو ما وقع للهنود الحمر «لزاميراندیان، الأباش، ليشيين، السيبو»[1] هذه القبائل مُحيت سلالتها من خارطة العالم وأصبحت أقواما ميتة بلا ذاكرة ولا تاريخ « تنتابه أناشيد الهنود الحمر وهي تتوغل فيه بعمق كأنها ترافق ميتا في كورس جنائزي طويل هيا..هيا..هيا...يرقصون رقصة الذئب الخلوي. في عيونهم ترتسم آلام الحنين الأبدية، شيء ما ذهب بلا عودة أبداً.»[2]

يبرر الغربي جرائمه في حق الآخرين بأنهم أعداء تجب محاربتهم، فهم خطر على مسيرة الإنسانية، لابد من تصفيتهم، إنهم مجتمعات همجية سَتُباد لمعاندتها الانخراط في مشروعه الحضاري!!! «فهناك أمم لا تصبح مفيدة إلاّ عندما تتحول إلى رماد، نحن من يمنحها النّار وفرصة التحول إلى رماد قبل الدّخول إلى تاريخ ظلّ على حوافه».[3]

الموت المنظم بالحروب أو بالظلم وسيلة لصنع تاريخ جديد، المبدأ فيه «من أراد أن يموت نفتح له الطريق ونسهل عليه»[4] هو ردّ ليتل بروز حين أضرب آدم عن الطعام ورفض الانصياع لأوامره فقد أحس أن حياته تسرق منه داخل أسوار القلعة الحديدية، ذكّره بجرائم هتلر التي ارتكبها في الهولوكوست القوة العمياء أسقطته ودمّرت سلطانه «هتلر أيضا كان له هذا المشروع الذي تصوره لي، فقتل ناسا بغير حق، وجد نفسه في أكبر مجزرة خلّفتها البشرية للتاريخ بعنادها وجنونها وجشعها الأعمى، فخسره وخسرت البشرية أكثر من خمسين مليون كائن لم يكن لهم أي ذنب سوى أنهم وجدوا أنفسهم على هذه الأرض في زمانه وفي عمق النار».[5]الجريمة مثل الموت لا يشبع صاحبها من فعله الأول تكبر وتتعدد فتصبح عادة تميت الضمير الإنساني وتجرّد المرء من أخلاقه، لذلك استمر المشهد الدموي، فقد رأى آدم في حلم يقظة «صور هاري ترومان جويلية 1945،

(1)- المصدر السابق ، ص 226.

(2)- المصدر نفسه، ص 225.

(3)- المصدر نفسه ، ص 99.

(4)- المصدر نفسه ، ص 202.

(5)-المصدر نفسه ، ص 203-204.

رآه يرفع يده كما تعوّد أن يفعل دوما في عزّ قيض شهر أوت 1945، ويعطي الأمر بالهجوم على اليابان بالقنبلة النووية، بدأت التواريخ تنزل في تعاقب... حتى استقرت على تاريخ 6 أوت ... نزلت القنبلة ليتل بوي على هيروشيما المستكينة، لتنشر بعدها غيمة كبيرة مكونة هالة على رأس المدينة، ويموت في ظلها، في ثواني محدودة، أكثر من 200 ألف إنسان، بعد ثلاثة أيام في 09 أوت، في نفس المشهد... نزلت فَاتْ مَانْ على سكان نغازاكي مخلّفة وراءها أكثر من 70 ألف ضحية»[1] كانوا يكرهون الحرب وغالبيتهم من الأطفال

.الأخلاق والسياسة خطان مستقيمان لا يلتقيان، ففي الحروب تتغير كل القيم، تفقد معناها الأصلي فتزداد شهوة الإنسان للدّم، ويكبر فيه جنون السلطة، يدفعه إلى تصفية الآخرين بدافع البقاء فمن يملك المال يملك السلطة والحق في إفناء الآخر، الإبادة وراءها عقل يفكر ويخطط يتجاوز حدود الحاضر إلى المستقبل، إنه المنطق الإمبراطوري، تدمير منظم وليس وليدة الصدفة، الحرب ضد العلماء والتصفية الجسدية سلاح منظم، فقد درّب الآخر فرقاً عسكرية متخصصة في اختطاف العلماء خاصة علماء الذرة أو قتلهم منها: تنظيم شادو التابع لآزاريا، في جواب سميث لسؤال آدم: قل لي من المستفيد؟ أقل لك من ارتكب الجريمة يذكر «د.ساري رضوان رضا دكتور في الفيزياء النووية، اغتيل في الجزائر العاصمة، الدكتور غائب الهيتي أبرز علماء العراق، الدكتور مجيد حسين علي، الطرد الذّري أساس علم الذّرة، العالم مهند الدليمي، الدكتور شاكر الخفّاجي، تخصصوا في المجال النووي من أصول عراقية، تم التحقيق معهم وتعذيبهم، ثم قتلهم وتبقى القائمة طويلة لتضم كلاّ من جعفر ضياء جعفر وسلمان رشيد سلمان اللامي الذي مات في جنيف بمرض غامض وزياد حنا الحداد الذي فرّ إلى روسيا، هو المصير نفسه الذي دفعه علماء إيران أمثال: داريوش رضابي ومسعود علي محمدي ومجيد شهرياري،

(1)- المصدر السابق ، ص 198.

مصطفى حمدي روشن، فقد أودت بهم يد الغدر في تفجيرات إرهابية»[1]كما مسّ التدمير البرامج العلمية النووية، إذْ أتلفت العديد من الملفات والبحوث المهمة وتم حرق كميات هائلة من المواد الأولية والمعدات الصناعية والمخبرية، و تفكيك كل الشركات العراقية العاملة في مجال التصنيع العسكري كشركات: المثنى والرشيد واليرموك والقعقاع، وحطين و هربت معدّاتها النووية إلى الخارج للاستفادة منها، فقد صّرح «كبير المفتشين هانزبلكس، واحد من ضباط المخابرات الأمريكية ورئيس فرقة التفتيش العامة تحت مظلة الأمم المتحدة: حتى لو دمرنا كل شيء، فنحن أمام جيش من العلماء ماعدا الخبراء والمهندسين العاملين في المجال النووي والبيولوجي والهندسة الكيميائية والفيزيائية. هؤلاء يشكلون الخطر الحقيقي على السلام».[2]

يستمد الآخر وجوده وقوته من خلال مصادرة حق الآخر وإلغاء واقعه تدريجيا عبر «تحويله شيئا فشيئا من نسق حضاري كلي له شرعيته التاريخية، إلى جسم ميت لا يصلح إلاّ «كمادة أولية» لا هوية لها خارج دائرة المشروع الغربي الحديث بأفكاره ومؤسساته».[3]فلكل سلطة قسوتها وجرائمها الكثيرة، ورجالها الذين يقاومون باستماته لأجلها والجريمة بالنسبة لهم لا شيء وطنية، فبقدر آلام الآخر ودماره بقدر نشوة وانتصار هؤلاء.

### 3-صناعة الإرهاب والإسلام المتطرف

ازداد عداء الآخر وكراهيته للانا العربية والعالم الإسلامي عقب أحداث 11 سبتمبر 2001، فقد استيقظ الغرب على هجوم مباغت انتهى بمحصلة ثقيلة من الضحايا الأبرياء، وطبعا وجّه الاتهام للإسلام الذي صُنّف في خانة الإرهاب الدموي ووسم بالتطرف والهمجية، وتصاعدت الأصوات منادية بتطهيره، وتناسى الغرب إسهامه الكبير

(1)- ينظر الرواية: ص [346-348].

(2)-المصدر نفسه، ص 346.

(3)- حسن الضيفة، الآخر في منظور الفكر الغربي الحديث، دار الفكر اللبناني، لبنان، بيروت، ط1، 1994، ص 27.

في خلقه من خلال هيمنته السياسية والاقتصادية والفكرية على الشعوب المستعمرة، وجعلها مسرحاً لجرائمه من منطلق الرجل الغربي المتفوق الذي منح لنفسه مجموعة من الامتيازات حرّمها على الآخرين، والنتيجة تحول جزء كبير من العالم إلى ساحات حرب وقتال.

هو حال سيف الكوربو الإرهابي «إرهابي معروف وقاتل محترف، وخرّيج أمريكا»[1] عمل في المخبر النووي برفقة آدم، متخصص في الفيزياء النووية، أظهر تفوّقا في الرياضيات التطبيقية، لكنه حورب وحُرم من حلمه لأنه مسلم، لذلك باع نفسه للتنظيم، ظَنّا منه أنه سلك الطريق القويم ليثأر لنفسه، ويحرر أرضه المقدسة من جحافل. الموت والخراب، ولينتقم لزوجته نسرين الباكستانية المسلمة الباحثة في أحد المراكز الخاصة بالصيدلية، قتلت في قصف جوّي استهدف عيادة طبيّة في كراتشي أثناء الولادة. في حربه على الآخر العدّو، سلك الكوربو منطق المعاملة بالمثل، بفكر مشبع بأفكار متطرفة، أسهمت في تشكيل ما يعرف بالإسلام المتطرف، الذي يرى في الآخر المختلف عنده عقائديا وفكرياً عدواً لدوداً «ستعرف جدّيتي عندما نحرق قاعدة اليهود والمسيحيين والمسلمين الكفرة، ستحرقون فيها كالجرذان»[2]، هي تهديدات الكوربو لآدم في مكالمة هاتفية عبر الأقمار الصناعية.

صراع العالم الغربي مع نظيره العربي والإسلامي صدام مصالح وغايات، فقد زجّ الآخر الإسلام والدّين في هذا الصراع وحمّله مسؤولية الأحداث، وأخضعه للابتزاز ومشاريع الإصلاح الغربية «الإسلام هو المشكل، فإنه يتحول إلى مصدر للقلق والخوف عندما يكتسب قوة استراتيجية ما...مما يجعل توتر الغرب ينبع أساسا من القوى الإسلامية الآسيوية المتنامية باستمرار عسكريا واقتصاديا (إندونيسيا والباكستان مثلا)، ومن الدول العربية النفطية المتحكمة في شريان الاقتصاد العالمي».[3]

---

(1)- الرواية ص 24.

(2)-المصدر نفسه ص 321.

(3)- السيد ولد أباه: "عالم ما بعد 11 سبتمبر 2001م"، الدار العربية للعلم، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص 148.

حَلُم سيف وغيره كثير من المتعصبين دينيا في إقامة الدولة الإسلامية، هذا المشروع الذي أجهضه الغرب المتحالف فالدين عند المسلمين أهم ما يشكل الشعور الجمعي ويتغلغل في وجدان الفرد، وعلى أساسه فيشكل معنى الحياة، و «مصلحة الغرب في حماية وجوده وضمان مصالحه، والحفاظ على هيمنة الكونية تقتضي الوقوف قباله أي مصدر من مصادر الخطر الكامنة أو الصريحة.»[1]الخطر ليس في الإسلام الدين، بل في الرؤية العقدية والفكرية التي تبنتها القوى التي تستخدمه، «إرهابيو التنظيم كما تجمع عليهم كل وسائل الإعلام كائنات هلامية بلا وجه وهوية متحولة مع الزمن»[2]

هواجس الكراهية والانتقام من الطرفين عزّزت المدَّ الإرهابي وضاعفت خطورته فقد أصبح «جيشاً دوليا احتل مناطق واسعة من آرابيا: الإرهاب لا رأس له على الرغم مما يبدو ظاهريا فهو مثل جرثومة المياه العذبة أينما نزلت نقطة منها تجددت وتضاعفت بنظامها الذي لم توقفه أية تكنولوجيا»[3]، فقد تغير وجه الإرهاب وأصبح يملك أسطولاً من العقول والأدوات لإحداث الدّمار الشامل، والأخطر من ذلك اختباؤه في أجساد مُسالمة.

لقد نفذ الكوربو تهديداته وَرَوى ضمأه للدّم، فدوامة الموت لا تجني إلا الموت والانتقام في النهاية، أصبح «التنظيم معروفاً بتوقيعاته على أجساد الضحايا بوضع علامة الصليب على صدر المقتول والكتابة تحتها: التنظيم وآية قرآنية: وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدّو الله وهدّوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم»[4]

توالت الأسئلة تباعاً على فكر آدم: الإرهاب من يصنعه أو من يغذّيه ويموّله؟ من يوّجه؟ ومن سيستفيد منه؟، فقد أيقن أخيراً «أن الإرهاب ليس قدراً، تصنيع أيضا ولا ينشأ من الفراغ، أينما كان الظلم أصبح الإرهاب أكثر الوسائل اختصار. الإرهاب مرض

(1)- فهمي جدعان، "متى تحين لحظة الحوار"؟ بحثا عن الإسلام الحضاري، مجلة العربي، وزارة الإعلام بدولة الكويتية، ع 518، يناير 2002، ص 11.

(2)- الرواية ص (305-306).

(3)- المصدر نفسه ص 306.

(4)-المصدر نفسه ص 163. / الأنفال الآية 60.

حقيقي، ولكن كل واحد يمارسه على طريقته بعضه يحارب وبعضه الآخر يصعب أن يحارب لأنه لا يملك القوة فقط ولكنه يملك سلطان الإبادة بطائراته وإمكاناته، وهو ما يزيد التطرفات عمقا. القصف الذي بدأ منذ المعركة الطويلة منذ بدء الإرهاب كم مات فيه من إرهابي، وكم مات من مواطن عادي لا يطلب إلا العيش إنها الحرب العمياء».[1] فقد تربى الإرهاب في أحضان الفساد والقمع واللاّعقاب.

ولأن المصلحة تقتضي تدعيم القوة حتى مع الأعداء، فقد سارع مسؤولو قلعة أميروبا إلى عقد اتفاقيات وإجراء مفاوضات تضمن لهم المركزية والتفوق حتى «إن بعض الألسن الطويلة تقول إن مفاوضات سرية يشترك فيها ضباط من أميروبا وأمراء من التنظيم لإيجاد أفضل الحلول البراغماتية التي تعود بالنفع على الجميع، الهدف من وراءها هو إخلاء القلعة لصالح التنظيم».[2] المال يصنع القوة والسيطرة، لذلك بحث الكوربو وحلفاءه على مصدره، تجارة الأعضاء البشرية، فسكان آرابيا بؤساء ضائعون، يتم اختطافهم أو قتلهم ثم انتزاع أعضائهم، أو يصطادون بحجة توظيفهم في أماكن سرية مخصصة للجريمة «يقال أن الكوربو نفسه هو المشرف على هذا التجمع السّري الذي يدر على التنظيم مالاً كثيراً»[3]، يشترك في العملية أطباء مع قتلة محترفين.

ولأن الجشع يعمي صاحبه ويقتل إنسانيته فقد أشرف الكوربو على بيع النفط العربي للآخر الغربي المصلحة مشتركة بين الطرفين «الكثير ممن يعرفون المنطقة يؤكدون أنه هو أيضا من شرف على بيع النقط في بعض مناطق آرابيا التي يسيطر عليها، للمتعاملين الغربيين الخواص الذين يصمتون. عليه لأن مصلحتهم معه، كثيراً ما شوهدت عشرات الصهاريج الصفراء وهي تقطع الصحاري مثل سيل الجراد ولا طائرة واحدة تقصفها مع أن المنطقة مراقبة كليا»[4]

(1)–المصدر السابق، ص 270.

(2)–المصدر نفسه ، ص 310.

(3)–المصدر نفسه ، ص 371.

(4)– المصدر نفسه، ص 372.

الكوربو عدّو مختلق للآخر الغربي، هي تمثيلية اخترعها الطرفان لإيهام العالم وتضليله، هما شريكان متعاونان «كل تقاريرنا تقول أنه أصبح قريباً، لكنه لا يعتدي علينا ولن يفعل، هدنه طبيعية بين الطرفين»[1]، فقد وفرّ الكوربو لحلفائه سوقا مهمة للأعضاء والحكمة تقتضي حمايته إلى حين يحين أَجَلُ تدميره والتخلص منه.

### 4- ازدواجية القيم:

ارتدى الغرب على مدار قرون عديدة وجوهاً مُضَلِّلّة، وأقنعة عديدة ليحقق مشروعه الاستعماري، ويفرض ايديولوجياته التعسفية الملتوية الصهيوفرنجية في الشرق والعالم أجمع فأطل علينا بشعارات رجراجة برّاقة تغنيّ تارة للحرية وأخرى للسلام وتارة أخرى للعدل والمساواة، وتناشد حقوق الإنسان والإصلاح والانفتاح بدعوى التجديد والتطور، وقد فصّل هذه القيم الإنسانية بمقاساته الخاصة فغدت ذرائع يحقق من خلالها هيمنته دون وازع أخلاقي أو قيمي على الآخر الذي لا وجود له ضمن مخططاته وسياساته.

تلك الوجوه المزدوجة والذمم الفضفاضة تتضح في سياسة الكيل بمكيالين، فالآخر يدّعي أن حروبه أخلاقية هدفها منع امتلاك النووي «أنت تعرف يا آدم أن الخراب الذي لحق بالإنسانية سببه امتلاك سلاح الدمار الشامل، وأنت كنت في عمق المعمعة وتعرف لماذا ناضلنا جميعا لتدميره في كل بلدان العالم بلا استثناء، كما دمر سابقا في العراق وليبيا وسوريا والجزائر، التي ردعن نفسها بنفسها قبل فوات الأوان»[2]، والهدف طبعا هو حماية الإنسانية، مُبَرر الغرب لهمجيته هو الخوف، الخوف من الآخر الذي يهدده «التشخيص الطبي لحالة غرب النخبة المهيمنة المريض بأوهام الخوف من الآخر أو باختلال جنون العظمة أو الاضطهاد هو حيلة إلى انتحال صفات الارتياب والشك في الآخرين، وتجاهل مسؤولياته وإنكار أخطائه وسلوكياته العدوانية وإلصاقها بالآخرين، وتفسير سلوكيات الغير على أنها تهديدية، فيتوهم الآخرين أعداءً، فيسارع إلى إثارة الرّعب

(1)- المصدر السابق ، ص 438.

(2)-المصدر نفسه ، ص 344.

فيهم وتأجيج الصراعات لإجبارهم على التساهل مع اعتداءاته على ذلك العدو الوهمي بذريعة توجيه ضربة استباقية له تجنب الذات عدوانه الموهوم».[1]

هي الحجة نفسها التي جعلت آزاريا تسارع إلى امتلاك ما يقارب 200 رأسا نوويا، لضمان سلامتها وسط عدوانية آرابيا، وجعلها ترفض التوقيع على عريضة الحد من امتلاك الأسلحة النووية، وقُبُول الرقابة على برنامجها النووي «كل البلدان المجاورة لأزاريا فتحت حدودها للمراقين الدوليين LAIEA إلاّ آزاريا هي البلد الوحيد الذي رفض المصادقة على اتفاقية عدم انتشار الأسلحة النووية، على أمريكا وأوروبا البدء أولا بحل هذه الحالة. يجب أن تعتبر كأية دولة، يجب أن ننتهي من النفاق»[2] هو ردّ سميث، على ليفي شميت وأربعة من أصدقائه الذي تعصب لآزاريا ورفض إدانتها، موجها أصابع الاتهام إلى الإرهاب الإسلامي، محملا إياه المسؤولية كاملة.

مسرحيات الآخر المفبركة تفضحها شعارات لتيل بروز « لا نظلم لكننا لا نقبل أن نباغت، من ليس معنا فهو ضدنا. كل مساومة خيانة موصوفة. الإرهاب جريمة وليس انطباعاً أو وجهة نظر. الخيانة هي أن تنسى أنك تنتمي لوطن. لا نظلم ولا نرحم. التدخل في أراضي العدو حق طبيعي، القنبلة وسيلة وليست غاية للحفاظ على النوع البشري»[3]

تفكير الغرب ملغم باللامنطقواللاّعقل، أباح لنفسه انتهاك حقوق الآخرين والتدخل في شؤونهم الدّاخلية والخارجية ليحمي نفسه من التنظيم، هو من يحدد صلاحية الشيء من عدمه و هو من يصَنَعَ الإرهاب ويمَوَّله، ومَنْ يمارس الابتزاز السياسي وفق قاعدة من ليس معنا فهو ضدنا «لقد تحقق الوعيد الذي أطلقه جيمس بيكر في وجه طارق عزيز،

(1)- محمد عبد الله الجعيدي،" انتقال التكنولوجيا الحديثة بين خوفين: يقظة الآخر وسطوة القوة،" جامعة مدريد، يوم 2005/12/11، ص 24.

(2)- الرواية ص 190.

(3)- المصدر نفسه ص 332.

في جنيف في عام 1999: إذا لم تتعاونوا معنا نعدكم إلى عصور ما قبل القرون الوسطى».[1]

زعموا أنّ العالم يتعرض لقسوة كبيرة وإرهاب غير مسبوق ورهانهم حماية النفس والبشرية منه، وما الوسيلة؟!! السلاح النووي طبعا الذي تمنوا «أن .يسعد هذا الاكتشاف الإنسانية ولا نجبر على استعماله إلاّ عند الضرورة القصوى كما حدث في هيروشيما ونغازاكي، ويردع المجموعات المتطرفة ويمنعها من التقتيل وتهديم الحضارة ويعيدوها إلى العيش الطبيعي».[2]!!!الجريمة عندهم مبررة، هي لا شيء بالنسبة لهم، وطنية مخلصة، ليست حالة مرضية، بل هي يقين المرض له علاج، غير أن اليقين لا شيء يغيّره إلا يقينا يخالفه وَيَكْسره، «أين كانت حماقة هتلر؟ ليست في الجرائم التي ارتكبها، ولا حتى ف الهولوكوست، فهو في هذه لم يتفرد، لكل شعب من الشعوب هولوكوسته المتخفي الخاص به، لكل سلطة قسوتها وجرائمها الكثيرة»[3]، لقد أضحى الموت رهانهم، سلسلة من القتلة وجدوا من يُدَعّمهم، المال والعنصرية حوّلهم إلى سلاح قاتل فتّاك، الخوف من قدرة الآخر على الانبعاث والمجابهة والمنافسة، أربككم وخلخل توازنهم النفسي والفكري «عقد الخوف الغربية لها موئلا في إيديولوجيا عمياء وأنانية تدفع بصاحبها استقواء واستكبارا إلى التشبث بتميز ظالم على الآخر واستغلاله وإبادته، وحقد لا يرى أحقية الغير في العيش والأمن والتنافس الشريف وتحايل قَصُرَت مدارك أصحابه عن استيعاب ناموس المساواة بين البشر».[4]

خداع الآخر وتضليله للحقائق مستمر مع ليتل بروز: فالقلعة تستعد للاحتفال بمئوية الأخ الأكبر، الجد الأول الذي عَلَّم الجميع ما لم يعلموا؛ قيم حية منحت الحياة لآرابيا «التي كان يمكن أن تكون خراباً، لولا هذا الرجل العظيم: كثرة الحروب، تقتل

(1)- المصدر السابق ص 347.

(2)- المصدر نفسه ص 333.

(3)- المصدر نفسه ص 204.

(4)-محمد عبد الله الجعيدي: "انتقال التكنولوجيا الحديثة بين خوفين: يقظة الآخر وسطوة القوة"، جامعة مدريد يوم 2005/12/11 ، ص 11.

الحرب، الحرية ضد التوحش، كل من ليس معنا فهو ضدنا»[1] لقد تم توزيع عشرين مليون نسخة من رواية "1984 لجورج أورويل" بهذه المناسبة تساءل آدم، كيف يحتفي بشخصية افتراضية طاغية حقيقي، يفترض أن يحاكم؟! شخصية لم تزرع غير الموت المنظم بالحروب أو الظلم.

لطالما تشدق الآخر بأن أمريكا بلد الحرية والتعددية «معنا آرابيون كثيرون في مخابرنا ومخازننا، وهم نعم المنضبطين، كما الهنود والآسيويون واللاتينيون، والايرلنديون، وغيرهم، هذه التعددية هي التي تصنع أمريكا اليوم، ولا أحد أفضل من الآخر»[2]، وأن قيمة الإنسان تتحدد بجهده لا بأصله، إنّها بلد التسامح والتعايش والأمن، ترعى مواطنيها، وتحرص على حمايتهم وتوفر الأمن لهم، فقد تم إنقاذ آدم المواطن الأمريكي من موت محتوم، كلّفهم ذلك ثلاثة حراس من خيرة عسكريهم حتى لا يسقط بأيدي التنظيم والقتلة يعبثون بجهوده وحياته وعلمه، فأبحاثه «ستنقذ حتما الإنسانية من الإرهاب ومن قنابل من نوع هيروشيما الثقيلة ونكازاكي، التي أبادت الكثير من الأبرياء بسبب إمبراطور معتوه، هيروهيتو»[3]، هذه الكذبة سرعان ما انقشع خداعها، لقد تم الحفاظ على آدم لأنه شخصية كبيرة ومهمة في المشروع الإنساني الكبير، مشروع القنبلة النووية التي ستدرأ مخاطر القتلة!!

شعارات ليتل بروز لا تتوقف أبداً، فلطالما كرّر خطابته: «ناموا قريري العيون، عين ليتل بروز ترعاكم جميعا، تعرف ما يشركم وتعرف أيضا ما لا ينفعكم، وما لا ينفعكم هو الأهم بالنسبة لنا لأننا لا نريد الإنسان الناقص، القلعة تكون الإنسان التَّام، عين ليتل بروز لا ترى التوافه، تقفز فوقها، تراهن عما هو كبير فيكم لهذا تعطيه ما يستحقه من الاهتمام ارتاحوا ولا تقلقوا على ما حدث، وعلى ما يمكن أن يحدث... من ليس معنا فهو

(1)-الرواية ص 48.

(2)-المصدر نفسه ص 147.

(3)-المصدر نفسه ص 103.

ضدنا فقط، بل عدو يجب محاربته يجب أن يمحى، لأنه خطر على مسيرة الإنسانية الجديدة التي نبنيها اليوم بكل ما نملك من نار وعقل»[1]

الآخر لا يرى إلا ما يريد رؤيته، ولا يسمع إلاّ ما يرغب ويطمع فيه، حماية حقوق الإنسان، الحرية، العدل المساواة... مجرد شعارات ويافطات يستخدمها لغير أهدافها الإنسانية، يوظف معاييره المزدوجة لخدمة مصالحه السياسية والاقتصادية بالآلة العسكرية، «هي حالة مرضية مستعصية تفاقمت من تراكم مكونات تاريخه الدموي ونزوعه الإجرامي»[2] هذه الشعارات حق أريد به باطل، العالم كله مؤطر وفق قوانين وأعراف الدول العظمى وكل تجاوز أو خروج عن هذه القوانين يعرّض صاحبه إلى العقاب الذي تتحدد درجته حسب الجرم المرتكب، تمويه وَلَدّ يقينا يقضي بسقوط الحضارة الغربية في «تناقضات مريعة وافتقادها هويتها الإنسانية وعدّها حضارة "مخنثة" تزعم تمسكها بالقيم الإنسانية ذات النعومة المفرطة، وتنسب لنفسها احتكار دعاوى المحبة والسلام والعمل على تحضير الشعوب المختلفة وترتكب بحق الشعوب أشكال الإبادة الممنهجة لتظل آخر المطاف حضارة الغاية التي تبرر الوسيلة».[3]

الآخر فنان بارع يكتب السيناريوهات ويحدد النهايات، يحاول استدراج الذوات الأخرى إلى أيديولوجيته وتبني قيمه وأفكاره وإن بدت متناقضة، فلقد طوّرت قنبلة البوكيت بومب وأحيطت بسلسلة من الضوابط الحامية للطبيعة والإنسان، بحيث يختزل الضرر إلى الصفر « سلامنا يرتكز على اختزال الضرر الى أقصاه، بحيث يصبح صفرا، لكن في الوقت نفسه يعطي درسا للمعتدي قبل إقدامه على أية مغامرة»[4]، نجح المشروع بامتياز وتم تسجيل براءة الاختراع رسميا ضمن الوكالات الدولية المتخصصة في الاكتشافات النووية سلمية، عجبا كيف يجمع بين السلام وقنبلة صغيرة؟!! الجواب: هي «فتاكة بالعدو

(1)- المصدر السابق ، ص 99.

(2)- محمد عبد الله الجعيدي: "انتقال التكنولوجيا الحديثة بين خوفين: يقظة الآخر وسطوة القوة"، جامعة مدريد يوم 2005/12/11، ص 11.

(3)- صلاح صالح: سرد الآخر، المركز الثقافي الغربي، المغرب، ط1، 2003، ص 111.

(4)- الرواية، ص 317.

وليس بالطبيعة»[1]، لقد أكدّت التجارب التي أجريت في صحراء آرابيا تحت اسم: العقرب الأسود: أن البوكيت بومب على صغر حجمها، فإنها تخلف نتائج كارثية «التمزقات التي أحدثتها قنبلة البلوتونيوم كانت كبيرة وإشعاعاتها المتولدة من الانفجار قوية ومخيفة، الأجساد لم يبق منها الكثير على الرغم من أننا كوّناها من مادة ثلاثية أكثر مقاومة من جلد الإنسان، وأبعدنا قسمنا منها إلى حدود الكيلومترين»[2] سَتُهْلِكُ الكل: الأعداء، الحيوانات وتقضي على الواحات. أخطاء تقييم انتشار الإشعاع عند العلماء تُعد نجاحاً باهراً عند قادة بحرية مضيق هرمز العسكريين تمنحهم فرصة الاختيار بين سلاحين يستعملان حسب الحاجة وامكانات العدّو القتالية.

حذّر آدم من النتائج الوخيمة في تقرير كتبه لـ سميث، طالب فيه أن يتم التفكير بجدية في توقيف المشروع، ردُّ سميث كان بارعاً، لا يريدون إلحاق الضرر بأيّ كان، هدفهم إسعاد الإنسان لا إفنائه، القنبلة ضد التنظيم الذي لم يعد الموت يخيفه، ستدفع بهم إلى عالم أجمل وألذ «في مثل هذه الأمور تؤخذ النتائج بعين الاعتبار وليس النوايا الحسنة، طريق جهنم يا عزيزي مفروش بالنوايا الحسنة»[3]، المسألة عسكرية وأهداف المشروع غير الأهداف العلمية، العالم يمنح حياته لخير البشرية وسعادتها، فقد نفع نوبل العالم باختراعه المتفجرات لكنها تحولت إلى قوة مدمّرة ف«النجاح بمفهوم الغرب هو النجاح بمفهومه الذرائعي النفعي المعروف في المجتمعات الرأسمالية المعاصرة، التي تقيس قيمة الفعل من خلال نتائجه وليس من خلال طبيعته أو اتسامه بالأخلاقية أو مراعاتها، ومن غير اعتبار للآخرين»[4]

لقد برع الآخر في ممارسة فنون التضليل والخداع تارة باختلاق الأكاذيب والمراوغة، وأخرى بطمس الحقائق أو تزييفها ومرات كثيرة بالتهوين أو المبالغة أو

(1)-المصدر السابق ، ص 317.

(2)- المصدر نفسه، ص 355-356.

(3)-المصدر نفسه ، ص 360.

(4)- عبد الرحمن منيف: سباق المسافات الطويلة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط9، بيروت، 2003، ص 100.

التصريح بقول غير مباشر متناقض، فلا تزال الشعارات في قلعة أميروبا تمجدّ سياسة الهيمنة:" نكون أو لا نكون لا خيار، الحرب هي السلام، الحرية هي العبودية، الجهل قوة»[1] مبدأ التفكير المزدوج، القائم على التصارع، على إقصاء الآخر وتجريده من حقوقه، وعلى الأنانية والتعصب وتدمير القيم الإنسانية، على تفشي الظلم والاضطهاد والفساد واستفحال الجريمة باسم الحرية والسلام والحضارة والديمقراطية، تغذّية نخبة متطرفة ذات إرث إيديولوجي فرنجي ونشأة صهيونية، يتملكها جنون الاستحواذ وعمى البصيرة.

## 5- عَزْف الوطنية

لابد لكل حرب من قضية تثار لأجلها، تجعل الشعب يؤمن بها ويحتضنها ويخوض المعارك لأجلها باذلاً النفيس لنصرتها، مفتخراً بمشاركته فيها، هذه القضايا غالبا ما تكون مصطنعة، مفبركة وصنعت لتحقيق مصالح اقتصادية استعمارية أو نشر إيديولوجيات فكرية تدميرية.

ولتغذية الحروب وتأجيج نارها يعمد عبيد السلطة إلى إذكاء روح الوطنية في نفوس الجنود وإلهاب الحمية القومية فيهم، سلاح يتاجر به دعاة العصبية القومية، هوس قومي يدفع معتنقيه إلى ارتكاب جرائم وحشية في حق الآخر الغيري، متوهمين أنهم يشاركون في كتابة تاريخ أمتهم وتمجيدها، هو أسلوب اعتمده ليتل بروز في إدارة القلعة: «فقد استعاد كل الأناشيد الحربية القديمة لتجنيد الناس أكثر لأن الحرب ضد التنظيم هذه المرة، ستكون نهائية، وستكون المبادرة النهائية للقلعة أميروبا وليس للتنظيم... كانت الأناشيد وقرع طبول الحرب ضد التنظيم شملت أيضا مثلث الشر كما يسميه إيروشينا»[2]، الهدف من الحرب انساني، وطني هو أن يظل وجه أمريكا ناصعاً وأن تظل قلعة للحرية والحداثة، لقد ركز ليتل بروز على الحرب النفسية، فاستخدم أساليب دعاية

(1)- الرواية ص 47.

(2)-المصدر نفسه ، ص 240

(2) المصدر نفسه ، ص 252

ووسائل سيكولوجية ومعنوية يقنع من خلالها الجنود على الاستماتة في الدفاع عن مفاخرهم التاريخية ومقدساتهم الوطنية، ليكسب تأييدهم المطلق فكثيراً ما دوى النشيد الوطني في ربوع القلعة: "نحن في النار وساحات الموت.

" نبني عالما جديداً نعطيه من لحمنا وراحة أبنائنا.

هبوا يا أحرار العالم لا تتركوا البربرية تصبح سيدة.

سنخسر الكون والشمس والسماء، إن صمتنا."(2)

هي كلمات رنّانة، شعارات موروثة عن البطولة والمجد والشجاعة تمجد الواجب الوطني والشرف العسكري تصور الحروب وكأنها ملاحم بطولية وطنية، تمارس سحرها القوي على نفس الجندي وبتكررها تصبح معتقداً يؤمن به« الكل للواحد والواحد للكل» شعار كبير رفع في ساحة القلعة في الجناح الجنوبي تظهر تحته صورة ليتل بروز، ولافتة الكترونية كبيرة مكتوبة بالإنجليزيةوبالأورو لينغوا شعارات « كلنا لك ومنك، مرور 100 سنة على ميلاد بيغ بروز، الجد الأول الذي علم الجميع ما لم يعلموا ‘مّا أن نكون أو لا نكون، لا خيار..» [1]،الولاء الوطني. والصرامة العسكرية، الاقتداء بتاريخ الأبطال الثوريين، نقل صور مؤدلجة عن الواقع وترسيخ صور مشوهة هي خيارات عسكرية مفروضة لإثارة الحماس الوطني لدى أبناء المجتمع العسكري للتمسك بقضيتهم والحقوق التي يدافعون عنها «نحن مؤمنون بما نقوم به، ونمحو عند الضرورة كل من يخرج عنه، ونسحب نحونا ليس كل من يريد ذلك فقط، لكن من نرى فيه ما نريده نحن»[2]

الوطن والنظام فوق كل اعتبار، هو فوق الجميع، يذهب الأبطال والحكام والمسؤولين ويبقى النظام والوطن «نروي هذا النظام بعرقنا ودمنا، من شاء تحطيمه يتحطم، لأنه ليس بشراً يمحي أو يقتل المارشال ينتهي. النظام يستمر. لا تخطئ يا آدم لا أشك في إنسانيتك لكن الانتماء إلى النظام مهم... الذي يهمنا في كل هذا: ماذا تقدم للحفاظ على النظام وتطويره ليستمر أكثر، ولا يموت أبداً في ظل تحولات دولية شديدة

(1)-المصدر السابق ، ص .51

(2)-المصدر نفسه ، ص 204

الخطورة».[1]وباء الوطنية مفعول محذر، يفقد صاحبه المشاعر الأخلاقية، يجنبه نقد الذات ومحاسبتها، يميت فيه الضمير الإنساني، ويدفعه إلى تشويه الحقائق وخلق تبريرات واهية مزعومة، ينظر من خلالها إلى الأنا بهالة قدسية، تضفي عليها صبغة الشرعية وتحمل الآخر مسؤولية الوحشية والانتهاكات الإجرامية «من ليس معنا ليس عدونا فقط، يجب أن يُمحى إنسانيون إلى أقصى الحدود».[2]

تدفع هذه الشعارات الوطنية العنصرية الهوية في مضيق اللاتسامح مع الآخر، تغذي في الجندي عوامل الرغبة في إقصاء الآخر العدّو، فقد كثف ليتل بروز من هذه الشعارات التي تؤكد أن أمراً خطيراً يحدق بالقلعة، فقد أعلنت حالة الطوارئ والاستعداد لتلقي ضربات التنظيم «شعاراته التي تملأ المساحات العامة التي أصبحت كلها تلح على التنبه والحذر من العدو الداخلي والخارجي الذي يستهدف اللحمة. الوطنية. والتزام الحذر والحيطة من عدو خطير لا شكل ولا وجه. التضامن وتطبيق شعارات ليتل بروز في الحالات الحرجة والصعبة: الكل للواحد والواحد للكل»[3]، الخوف من العدو والحرب على الإرهاب حجة لطالما وظفهما السياسيون ومنظرو الحروب. لتسويق سياسات حكوماتهم وتبرير جرائمهم اللاإنسانية في حق الأبرياء فقد كَسَوْا قضاياهم الوطنية بهالة المبادئ الإنسانية لتوصف بالمصداقية ويتم المصادقة عليها دون نقاش وتقبل كحتمية للحفاظ على الذات، هذه الأساطير المضللة توهم الجندي بأنه يقوم بأعمال بطولية يوجب تحقيقها التضحية بالنفس واستباحة الأعمال الدموية.

للحرب جانبها الأسطوري المزيف، ففيها تُضَّمن الأحداث معاني تروق للنفس، تكون فيها الهزيمة نكسة مؤقتة والأعداء شياطين وجب إبادتهم، أما الأنا فهي الخير المطلق والصلاح اليقين والحق المبين، فقتلى الحروب بهذا المنطق أبطال شرفاء، تصبغ عليهم مسحة قدسية تقتضي تمجيدهم بإقامة النصب التذكارية تخليداً لذكراهم واعترافاً

(1)–المصدر السابق ، ص 205.

(2)– المصدر نفسه ، ص 203.

(3)– المصدر نفسه ، ص 310.

بوطنيتهم، وتقام لهم مراسيم دفن احتفالية تشريفية، اقتحموا الموت وأنكروا ذواتهم بدافع الانتماء والولاء الوطني والقومي «سُجِّيَتْ الأجساد الستة المغطاة بعلمي أمريكا وأميروبا في المدرج القديم... وقف سبعة جنود من جنود البحرية وأطلقوا سبع عيارات في السماء، تكريما للضحايا، بعدها عزفت الفرقة الموسيقية. النحاسية. نشيد أميروبا المزدوج: كان على رأس الحضور ممثل من الأسطول البحري ومسؤول عن فيدراليات الدول الأوروبية».[1] حضر مراسيم الدفن شخصيات عسكرية كبيرة رغم ان الضحايا لم يكونوا من العسكريين تكريماً لشهداء الواجب واعتراف بإنسانيتهم، فأحد القتلى كان رئيس لبعثة علمية أنثروبولوجيا[*]واثنوجرافية[*] تنشط بهدف تحسين الأوضاع الحياتية والبيئية لسكان المنطقة الآرابية.

لقد حظي سميث بنفس الأجواء التوديعية إثر موته في هجوم مباغت من التنظيم على حقل نفطي كُلِّف بمراقبته على رأس الفرقة، أوقد الحضور الشموع على روحه وحضر كل أصدقائه العسكريين وقالوا كلمة عنه وبثت الشعارات على المباشر على الشبكات المختلفة، الحفلة ناجحة بكل المقاييس «بدأ حفل الغوسيل برباعي شاب مكون من تينورين بصوتين فخمين وقويين... كانت سهرة هادئة ولكنها حزينة جداً، افترق بعدها الحاضرون بشيء من الراحة الداخلية والسلام مع النفس».[2]

استعباد العقول واستدراجها، الكذب وتنميق المصطلحات وصياغة المفاهيم بلغة برّاقة جديدة تتناسب مع السياسة الامبريالية والفلسفة البراغماتية ،وسائل وظفها الآخر

---

(1)–المصدر السابق ص 354.

(*)– أنثروبولوجيا: Anthropology: علم الإنسان: تدرس أصل النوع الانساني والظواهر المتعلقة به، وتدرس الثقافة، هي قسمان: أنثروبولوجيا طبيعية (مواضيع التطور الإنساني، حياة ما قبل التاريخ، الأجناس البشرية وتكوين جسم الإنسان ثقافية: تشمل الأركيولوجيا (الثقافات المنقرضة) والاثنولوجيا والثقافات الموجودة.ينظر: انثروبولوجيا/https://ar.wikipedia.org//wikiيوم 6 نوفمبر 2015 الساعة :09:34)

(*)– اثنوجرافية: من أقدم فروع المعرفة في علم الأنثروبولوجيا وتعني: الدراسة الوصفية لطريقة وأسلوب الحياة شعب من الشعوب أو مجتمع من المجتمعات حتى البدائية منها: تهتم بوصف عاداتها وتقاليدها وأدواتها وكل ما يتصل بثقافاتها. ينظر: اثنوجرافية/www.aranthropos.com/الاثنوغرافيا/ethnography-يوم 13 أفريل 2016)

(2)– الرواية ص 415.

الاستعماري لتمرير مخططاته التدميرية، التي راح ضحيتها الغير المخالف، وابن الوطن، ضحايا أعداء الإنسانية والكثير من الأبرياء المُضَلَّلين ،لا ذنب لهم سوى وطنيتهم.

**6- قمع حرية التفكير والتعبير:**

حرية التعبير أو التفكير ممارسة إنسانية، تفترض حرية الفكر والرأي، الإرادة المطلقة، والحرية التامة في التعبير عن الأفكار والرغبات، بدون خوف أو إكراه، كما تقتضي التحرر من كل الضغوط الخارجية التي تجبر المرء على الإيمان بأفكار لا يؤمن بها، أو لا يستوعبها عقله، هي نوع من الانعتاق من سلطة الآخرين الذين تتعارض آراؤهم وتوجهاتهم مع الأنا المخالف لهم شعار زائف روّجت له وسائل الغرب الإعلامية بدعوى التحضر والانفتاح على الغير وبدعوى التعايش والتسامح وقبول التعددية في الرؤى والأفكار.

حرية الفكر نوع من الزيف المبطن، جريمة مدبرة صادرت الفكر الحر والتعبير الحر، وحصرت الفكر الإنساني في أطر إيديولوجية وفكرية لا ينبغي الخروج عنها، وجعلته أسير هويات ضيّقة وتصنيفات مشوهة «نسهر على كل شيء ونفكر لك. ستصبح جزءاً من المنظومة العامة. نظامنا وشعارنا الكل مع الواحد، لأن الواحد هو حامي الكل»[1] تعطيل الفكر مهم والتساؤل الكثير ليس جيداً، كم الأفواه وإخماد الأنفاس هو المطلوب «أن تكون لست أنت، عليك أن تموت نهائياً ويُمحى خبر وجودك، وتعيش ثانية مجرداً من كل شيء إلا من ذاكرة عليك أن تضعها في الفريغو.»[2]

لقد عمل الآخر الغربي على مصادرة حقوق آدم الإنسانية الطبيعية وسلّط عليه سيف الترهيب والقوة ومارس عليه اكراهات شنيعة استباحت كرامته تارة بالإيذاء الجسدي وأخرى بالتجريح بلغة نرجسية تعكس تضخم الذات واستعلائها « ليس ممنوعاً يا صديقي أن تفكر، ولكن ممنوع أن تفكر بشكل مخالف فقط. الباقي أنت حر، وفي مجتمع حر، أو

(1)-المصدر السابق ص 113.

(2)- المصدر نفسه ص 94.

لنقل في مساحة لك فيها مطلق الحرية، الخطر ليس في التفكير ولكن في التفكير المختلف الذي يقتل النظام».[1]شل الفكر وتجميده نوع من الطغيان المتعمّد جرّد معنى حرية التفكير من محتواها الإنساني، ولم يترك مجالاً أمام آدم للاختيار، فإما أن يقبل بما يُمْلي ويُفرض عليه فَيذْعَن ويستكين ،وإمَّا أن يتمرد فيكون جزاؤه العَزْل والتعذيب والتحقير، هذا الكبت الفكري تُغَذِّيه نزاعات عدائية مخترعة من قبل الآخر، محكومة بسياسات وأساليب منحرفة ،لا تقيم اعتباراً للذات الإنسانية.

الهزيمة الحقيقية التي تزلزل كيان الإنسان وتهد أركانه على الصعيد النفسي هي حين يدرك أنه مسلوب الإرادة والحرية في التفكير، حين يكون مستهلكاً للمعنى الذي تبناه الغير، عاجزاً عن بناء معانيه الخاصة وفق إملاءاته الشخصية وقناعاته الخاصة.، غير قادر على الإفصاح عن مكنوناته ورغباته، آماله وآلامه، سجين حياة رسمها الآخر دون اشتراكه فيها، «لجم آدم لسانه حتى يقول ما دار في خاطره بشكل صريح: بيغ بروذر... طاغية صغير، لا يختلف عن الذين سبقوه وأنت لست أفضل منه، تمجد زمنا مات، أي الحروب خضت لتكون مارشالاً، ما عدا حروب الخوف والرمال و العقارب القاتلة التي قتلت المئات في هذا المكان».[2]هو رأيه في ليتل بروز، لطالما أراد التصريح به بصوت عال، لكنه يُوقن أن الأمر يعرض حياته للخطر مع شخص مهزوز نفسيا، عصابي، يملك أجهزة رقابية قادرة على اختراق التفكير «أنت أعرف مني بما أكتب، أجهزتكم تقرأ ما في الأدمغة»[3]

إنّ الرفض أو التمرد والمطالبة بالحقوق هو مثال على حرية التعبير تبيحه القوى الغربية العظمى لكنها ممارسات لا تقدم ولا تؤخر، تقديم الشكاوي والتوصيات والسماح للمنظمات الحقوقية بزيارة المسجونين وتلبية بعض مطالبهم أمور مشروعة في القلعة، فقد سمح لآدم أن يمتلك في البداية أوراقا وأقلاماً للكتابة، هذا حق انتزع بفضل إصرار رابطة

(1)- المصدر السابق ص 343.

(2)- المصدر نفسه ص 58.

(3)-المصدر نفسه ص 59.

الدفاع عن حقوق الأجناس الآيلة للزوال، كلّ هذا النجاح بعد جهد جهيد بحصول آدم على جهاز صوتي يسجل كلامه، يدرك آدم أنه خاضع لرقابة صارمة متوغلة فيه «أن تكون في فلسفة بيغ بروذر أو ليتل بروز عليك أن تنتبه لكل شيء حتى التفاصيل الصغيرة الموجودة في بؤبؤ العين الذي بواسطته تم اليوم قراءة تاريخ الفرد والقوميات التي صنعت تاريخه العائلي، واستعداداته للجريمة والقتل وقابليته لأن يصلح من عدمها».[1]

لقد قولب الآخر المفاهيم، وصاغ تَسميات جديدة وأعطى مفاهيم نأَتْ بالألفاظ عن مدلولاتها الحقيقية وألبسها أثوابا جديدة ومعايير بديلة تتساوق ومخططاته الهادفة إلى استئصال هوية الأفراد وتدمير ثقافتهم واستعباد تفكيرهم ليُتاح خلقهم من جديد في صورة مقننة تمكنه من الاستحواذ عليهم وتكريس مبدأ التبعية العمياء.

**ثانيا:- الآخر العدمي اللاإنساني**

العدمية مرض خطير ألّمَ بالحضارة الغربية طبع مختلف مظاهرها الفكرية والثقافية وتعدّاهاَ ليطال كافة المستويات، تقوم هذه الأيديولوجية على مبدأ تبخيس قيمة الحياة، وعلى هيمنة الروح الإنكارية للوجود، لذلك تنصل العدمي للأخلاق والواجب والقيم العليا المقدسة وحطّ من قيمتها فكان من نتائجها الفظيعة خلخلة الركائز الأساسية للحضارة والإنسانية والانهيار التام للمبادئ والمثل، تحت مسمى قيم إنسانية مسرفة في إنسانيتها، لتحل محلها قيم الفائدة والعقلانية وسيطرة المادة والمنفعة، فقد تعلّم مالكوم بلير في السجن أن يكون عدميا سلبيا، آلة متحجرة القلب، ميت الضمير، حكم عليه بالإعدام فقبع في سجني تكساس ثم فلوريدا وأخيراً جيء به إلى الرمادي، لقد قتل امرأة أهانت رجولته «رأى أناسا يموتون أمام عينيه، مجرمين، قتلة، مهربي مخدرات، ورأى أيضا أناسا يموتون ظلماً، ولم يكن قادرا على فعل أي شيء بسبب الخوف أو الجبن الدّاخلي، تعلم ما سماه العدمية، منذ اللحظة الأولى عرف أنه وسط آلة تتجاوز إرادته ورغباته، أقوى منه،

(1)- المصدر السابق ص 110.

طاحونة بلا نهايات ولا بدايات»[1].ولكي يتمكن من الاستمرارية ويحفظ حياته عليه أن يداري ويسايسْ، أن يرضخ، وأن يكون براغماتيا «في السجن تعلم كل شيء، وفي الحروب تمرن على الأجساد الحية، قال له من خبر الأمكنة المظلمة الذي لم يعد يتذكر اسمه لأنه تماهى فيه إلى أن أصبحه هو: عليك أن تكون براغماتيا يا عزيزي مالكوم بلير، وتقبل بما هو موجود، ما هو موجود صغته القرون المتتالية ولم يصغه الأفراد الصغار مثلي ومثلك».[2]

الحب أسمى العواطف الإنسانية، روح الحياة ونبضها، بلسم الجراح، وحادي الأرواح، لا يغدو أن يكون في فلسفته عبثاً، مضيعة للوقت، تدميرا للإنسان، موتا حتميا «حتى أنه عندما أحب المرأة التي قتلها في النهاية، شعر بأن المسألة لا تغدو أن تكون كيمياء ذهنية لا أكثر، لا يوجد شيء اسمه الحب...، الجنس أسبق من الحب... بينما الحب حالة من الهوس تشغل صاحبها حتى الموت بلا فائدة، إذ يضل معلقا على خيط مهدد بالتمزق في كل ثانية، لا حياة للمحب أبداً، ورقة في مهب الريح، يظل رهن هذا الخيط الذي كلما اشتد في الوسط نحف وتمزق، ولا شيء بعدها إلا الهاوية، لم يكن نيتشه مخطئا عندما اعتبر الحب مفسدة للإنسان، وتدميرا للفاعلية».[3]

لقد نفى هؤلاء العدميون الوجود المتعالي، الخير والحقيقة، القيم الإنسانية واعتبروها وجوداً زائفامبخساً، مبتذلاً، جابهوها بالرّفض والتطرف والشذوذ، فدعوا إلى العقلانية المطلقة والتطرف القوي تحت وهم، وضوح الرّؤية لديهم وبلوغ عقولهم الوعي الكامل وإحاطتهم الشاملة بالواقع، فباتت العواطف عندهم مجرد كلمات فارغة، مورطة، أحلام رومنسية وجب أن تحارب «ما معنى اليوم ألفاظ رنانة كحقوق، عدالة، مواطن، حرية، حق، نبل، وفاء، سخاء، حقد... مجرد خردة، العام اليوم للأقوى ياعزيزي، ظلت وفية لك، وظللت متعلقا بها، نقدر هذا ولكننا لا نوليه أي اهتمام تستحق حالتكما أنت وأمايا أن

(1)-المصدر السابق ص34.

(2)- المصدر نفسه ص 34.

(3)- المصدر نفسه، ص 35.

تدرج في حوليات العشاق المساكين، هذا لا يناسب مطلقا في القلعة يا عزيزي، العلاقات الحرة مصيدة للفساد والتلاشي».[1]

ليتل بروز كغيره من أصحاب النفوذ وصنّاع القرار المتحجرين، قوة همجية أنهكت الإنسان آدم وغيره كثير، وسلطت عليهم أنواع الضغط المادي والمعنوي، ابتذلت كل شيء لأجل ما تظنه قيمة دفاعية، فجددت وسائلها الإجرامية وأسقطت عن الإنسان قيمته وطابع قداسته، فلم يعد مُهِماً عندها القتل ولا طريقته.، موت مجاني ضد الأبرياء «وهكذا داخل دوامة لا تنتهي أبداً. هؤلاء في عمق العدمية، لا يعينهم أن يموتوا أو يعيشوا، إذا ماتوا فهم في عالم كانوا يحلمون به جنة. خاصة، وإذا عاشوا سيصرون على محو كل مالا يشبههم»[2]لقد أصبح العنف مبرراً في الفكر السياسي لدرجة اعتباره حتمية تتماهى مع حركة التدافع البشري، فالدّمار والقتل والوحشية وحروب الإبادة باتت أموراً مشروعة، ترسم مصير الإنسانية وحركة صيرورة التاريخ، فهل صار العنف ضرورة من ضرورات التغيير والتحضر؟!! وهل تبنى الحضارات عبر تاريخها الإنساني على جماجم البشر؟!!

الحقيقة نعم، فالجرائم الأخلاقية ضد الإنسانية تزداد يوميا، خاصة فيما يتعلق بالنووي، العنف الدموي، والتقتيل الجماعي، أصبح حقيقة عضوية تكوينية أساسية في الفكر السلطوي: «العدمية فقد تحولت هذه الممارسة، التي تطورت بشكل سريع في ظل الاختلالات الدولية والحروب، إلى ثقافة قائمة بذاتها، تحكمها ضوابط داخل الجريمة نفسها، يصعب فهمها، لكن لها منطقها الدّاخلي وأيديولوجيتها التي تبررها أو توفر لها... فتبدو وكأنها تدافع عن قضية عادلة، وتزيح ظلماً ما... القتل الأعمى الذي لا يراعي أية حسابات إنسانية ولا أي تفكير في طبيعة الضحية، إذ يساوي كل شيء لدرجة التسطح.»[3]، قنبلتي هيروشيما ونغازاكي خير شاهد على ذلك «القنبلة الأولى أجد لها

(1)-المصدر السابق 203

(2)- المصدر نفسه ، ص 187.

(3)- ينظر: واسيني الأعرج، (تنامي ثقافة العدمية على هامش اعتداءات نيس الإرهابية، جريدة الأهرام الجديدة الكندية، يوم الأحد، 22 يناير، 2017.

مبررا، أمريكا كانت مهزومة عسكرياً، الرئيس ترومان في أزمة خانقة، والثانية؟ هل كانت قنبلة نغازاكي ضرورية؟ لماذا كانت الأولى من اليورانيوم والثانية من البلوتونيوم؟ الكبار يبدأون دائماً بجريمة بحجمهم حتى يفرضوا سلطانهم، الكارثة أنهم في تجربتهم الحية كانوا يريدون أن يعرفوا مفعول اليورانيوموالبلوتنيوم».[1]

البشر في النهاية مجرد أرقام، بقدر تصاعدها يكون نجاح الفعل العدمي وتحقق الغاية منه.، آلة قتل لا منطق لها سوى القتل نفسه، فقد تم إخلاء قلعة أميروبا كلية على أثر زحف التنظيم الإرهابي نحوها فيما يقارب ثلاثة آلاف إلى خمسة آلاف مقاتل يستعدون لدخولها.

لكن ماذا عن المائتي مقيم؟ لقد تم إطلاق سراحهم جميعاً، فهم مجرمون قتلة حسب تصريح ليتل بروز، لكن الحقيقة أبشع وأفظع فقد تم إبادتهم جميعاً بالغازات السامة، هو الأمر الذي اكتشفه الميجر توني حين توغل عميقاً في أحد أجنحة القلعة «وجد جثثا مكدسة فوق بعضها البعض وروائحها قوية، كأنها قتلت بغازات سامة لأن أفواهها كانت مفتوحة وأيديها يابسة على حلوقها، صور و صور كثيرا، ثم فتح القاعة الثانية فوجد المشهد نفسه، ثم الثالثة»[2]، وما مصير مقاتلي التنظيم؟ لقد تدافعوا على القلعة وطوّقوها ودخلوا في أعماقها بفرحة عارمة لكنهم أحرقوا عن آخرهم وتطايرت أجسادهم إثر قصفهم بصواريخ نووية «رأى ناراً حارقة صعدت من عمق الساحة فتطايرت الحجارة والأجساد بالمئات عالياً في حالة غرق قصوى»[3] لقد تحولت القلعة بمن فيها إلى كومة من الحجارة والرّماد تشبه رأس جبل بركاني ،وبذلك عاد الآخر إلى فكرة الصفاء العرقي.

للعدمية وجه آخر، فقد أعدمت الأبعاد الإنسانية، وجففت ينابيع الإيمان وتعاملت مع الإنسان على أنه أشياء مادية قابلة للتثبيت التجريبي والتصنيع التكنولوجي، وأسقطت عليه مجموعة من الأحكام انجر عليها،التشيؤ. والسلعنة والاختزال، فأصبح هذا الأخير فأر

(1)- الرواية، ص 278.

(2)-المصدر نفسه ص 444.

(3)- المصدر نفسه 448.

تجارب، لقد مضى آدم «خمس سنوات و 3 أشهر و15 يوماً و 10 ساعات و27 دقيقة و33 ثانية من الحجر والتدمير الدّماغي واستهلاك المحلول المنوم»[1] في محاولة لانتزاع المعلومات منه، أثرت سلباً على ذاكرته ومناعته لولا أنهم توقفوا عن ذلك لأنهم يريدونه حياً. والأخطر من ذلك أن يتحول الإنسان إلى مادة للبحث المخبري ثم يختفي دون مبررات،و هو ما حدث للدكتور شونتا رو هيدا ،الذي اكتشف السبب الرئيسي للأمراض التي عانى منها ضحايا النووي في اليابان ،فطالب بالتعويضات التي جوبهت بالنفي، لقد تم فتح مركز علاجي يضم قرابة الألف عامل ياباني مؤطر من طرف خبراء طبيين أمريكان، أخضعوا سكان هيروشيما للاستشفاء والمعالجة فيه، لكن الأمر الصادم هوانه: « اتضح من خلال اعتراف بعض أطبائه أنه لم يكن هدفاً إنسانياً ولكنه كان في مهمة استخبارية في جوهرها لدراسة الحالات العيادية وانعكاسات الإشعاعات على الأمد المتوسط والطويل، في واقع الأمر لم يكونوا يعالجون الجرحى بأكثر من أحمر الميرو كروم، تابعوا نشوء حالات السرطان بالخصوص سرطان الدم وعلاقة ذلك بالجانب الإشعاعي حتى التنسيق مع الأطباء اليابانيين لم يكن موجودا أبداً وكان الكثير من المرضى يبعثون إلى أمريكا وهناك يتحولون إلى مادة للبحث المخبري».[2]

يقال "أن الحرب هي المدرسة الوحيدة المناسبة للجراحين" مقولة تقيم علاقة بين الحرب والطب، فقد شهد المجال الطبي تطورات كبيرة واكبت القرون الأشد دموية في تاريخ البشرية، إذ أسهمت الحروب في دفع عجلة الكشوفات الطبية بالتركيز على الأبحاث وإجراء التجارب على الضحايا من الجنود والمدنيين، لقد أساء الأطباء استغلال معارفهم العلمية فشاركوا في تجارب على البشرية لأجل تطوير التقنيات الطبية العسكرية تقام هذه التجارب في مخابر سرية، قلعة أميروبا تحوي كلينك أجريت فيها العديد من العمليات السرية الناجحة «موتى الحروب يوفرون كل الأعضاء التي يحتاجها جنود القلعة

(1)- المصدر السابق، ص 99.

(2)- المصدر نفسه ص 278-279.

وغيرهم في العمليات الجراحية الحساسة»[1] في البداية وجد ليتل بروز صعوبة بالغة في إقناع الجنود والجرحى بمنح أعضائهم والاستفادة منها في حالة الموت الإكلينيكي فقد «منحوا أرواحهم للأرض التي شكلت قلوبهم وحواسهم، لكنهم مع نجاح العديد من عمليات زرع الأيدي والأرجل والكلى والكبد والطحال والأعضاء التناسلية المبتورة جزئياً في مستشفى القلعة وكلينك بيغ بروذر، وافق الكثيرون على كتابة وصايا بهذا الشأن وتركوها في مكتب خاص بذلك حتى إن التوابيت المقفلة والمشمعة التي تبعث لذوي المريض لا تتوفر إلا على قطع ممزقة لا يمكن رتقها»[2]

هوس السلطة والتحكم في أنفاس البشر يتحدى حدود المعقول، تضع البشرية في الحروب أبشع صور لها، العدميون، المعتوهين لا يرون إلا ما يشتهون، قتلة التنظيم لم يشبعوا جوعهم وعطشهم للدّم، المال أعمى بصيرتهم، سوق الأعضاء البشرية مورد هام، لذلك تحالف ليتل بروز مع إرهابي التنظيم وكوّنوا مزيجاً من الآرابيين والأوروبيين، فرق العقارب الصفراء مهمتها صيد الجثث لحظة سقوطها وأخذها إلى مستشفى القلعة أين يتخذ بشأنها القرار دون الرجوع إلى الموافقة العسكرية، لقد تجاوز الأمر الموتى إلى الأحياء الضائعين، الجائعين الذين يتم تضليلهم بحجة أنهم مرضى أو جرحى، ثم يتم بتر أعضائهم للمتاجرة بها، صفقات مجنونة بمبالغ خرافية تتم في القلعة على مرأى ومسمع السلطات والأمّر من ذلك أن يتم تسجيل هذه الجرائم البشعة في مذكرات إذ كتب ليتل بروز مذكراته الحربية معترفاً فيها : «كنت أهرّب أعضاء الموتى والمقتولين، سمعت تسريبات من هذا النوع. وسأجد من كان وراءها، كل هذا لن يزيد إلاّ في تغذية الأسطورة، الحقيقة الوحيدة أنه بفضلي ما يزال الكثير من المسؤولين والضباط الكبار والأغنياء، عبر العالم على قيد الحياة وأتوانى عن ذكر أسمائهم في مذكراتي يوميات مارشال في دوامة العزلة، التي بلغ عدد صفحاتها حتى اللحظة 3084 هذا الرقم الذي يتشاءم منه الكثيرون، يخفف من آلامي وشططي؟»[3]

(1)- المصدر السابق، ص 30.

(2)- المصدرنفسه ، ص 30.

يحمل الاخر على كاهله إرثا استعماريا ثقيلا بغيضا ،عناوينه :التسلط و الديكتاتورية ينتهج سياسة عنصرية عدائية، تقوم على الابادة الجماعية للشعوب الضعيفة، و الانتهاك الصارخ لحقوق الانسان، وعلى الازدواجية في المواقف ،تحركها المصالح و المنافع و التنكر للمبادئ التي يسوقها دفاعا عن قيم الحضارة و المدنية، ممارسات تؤكد أن الارهاب في أبشع صوره منتوج غربي أصيل، غاية في الانحطاط الأخلاقي و الفكري و الحضاري، .طغيان يقوم على العربدة و زرع الموت و الخراب ،يأخذ قوته من الآلة العسكرية الرهيبة و التفوق التكنولوجي .

**ثالثا:-الآخر العنصري:**

يُعاني الآخر الأورو أمريكي اختلالا مرضيا على مستوى حضارة بأكملها، فعلى مدار قرون منح نفسه «مواقع" الحقيقة" و"المركز" و"العقل" و"المدنية"، مقابل إبقاء الآخر في "ظلال" و"الهامش" و"التخلف».[1]

هي شخصية ليتل بروز الأخ الأصغر، اسمه الحقيقي ديفيد حيون دوغلاس، قائد قلعة أميروبا، دكتاتور كبير، يحلم بالارتقاء إلى رتبة مارشال، خاض حروباً عديدة ضد خصومه والإرهاب حصد العديد من الأوسمة والميداليات العسكرية، مصاب بجنون العظمة، والقوة العمياء، سليل البيغ بروذر الأخ الكبير من سلالة ملكية، عنصري حتى النخاع، يعامل مرؤوسيه وكلَّ من بالقلعة باستعلاء وفوقية، خاصة آدم العالم الأمريكي العربي، ينعته بالمخلوق الغريب أو العينة الآرابية ويستغرب كيف لعربي أن يفكر؟!!، يرفع في القلعة شعاراً عنصريا بحروف مضاءة تُرى من بعيد: "العربي الجيد هو العربي الميت"، «العربي لا يصبح جيداً إلا بموته، كائن غريب متعلق حتى الموت بفضلات التاريخ. ولا أعرف ماذا يجني من وراء ذلك. هو يقتل نفسه بنفسه، بحشرها في

(1)- علي القريشي، حوار الحضارات والحاجة إلى كبح جماع "الهويات المتغطرسة"، مجلة العربي، وزارة الإعلام بدولة الكويت، ع 525، أغسطس 2002، ص 164.

الموت»[1]، كل آرابي ارهابي عبارة لطالما رددها ليتل بروز إثر وقوع العمليات الإرهابية طوّر الشعارات العنصرية بعدا أن حُوّرت قليلاً مع إبقاء الجوهر وفاءً لما أسسه الأخ الأكبر من قيم حية حضارية للحفاظ على مسيرته التي بلغت قرنا من الزمن «فكل الوثائق والنقاشات التي دارت في القلعة وخارجها حول موضوع الشعار تُبين أن المسألة لم تكن مزاجاً فردياً لليتل بروز فقط، ولكن فعل جماعي لإذلال المقيمين من أصول أربيا المنتمين للتنظيم أو المشكوك فيهم».[2]

تفكير ليتل بروز امتداد لأسطورة هتلر القائمة على فكرة الصفاء العرقي، فالرجل الأبيض وأوروبا لم تتخلص بَعّد من فكرها الأصولي، العرب «من الكائنات المنقرضة التي لم تبق منها إلاَّ عينات نادرة ضائعة في فقر آرابيا والصحاري، الآيلة للزوال حتما. كأن دورتها الطبيعية انتهت أو هي في طريقها إلى ذلك، كما يقول ليتل بروز: هناك أمم لا تملك قابلية الاستمرار في الزمن، فتقضي على نفسها بنفسها».[3]

حُرم آدم من أبسط حقوقه البشرية، أن يتواصل مع زوجته لاسلكيا، عومل كسجين مثل سجناء غوانتنامو قبل قرابة قرن، ألبس اللباس البرتقالي لباس العار والذل «لا طلب لي إلاَّ الاعتراف بوضعي كعالم أمريكي قادم من آرابيا... لست سارقا أو إرهابيا أو قاتلا، أريد أن أعرف حال زوجتي»[4]

(1)- الرواية ص 22.

(2)- المصدرنفسه ، ص 48.

(3)- المصدر نفسه، ص 92.

(4)-المصدر نفسه ص 25.

يَحْمِل ليتل بروز الكثير من جنون موسو ليني*، ورغبة مبطنة في أن يظل قوياً معترفاً به، في داخله حقد دفين ضد العرب، «مشكلة المارشال أعتقد أنها نفسية، فهو يحمل سكان آرابيا ما حدث له، يجد أحيانا مبررات كثيرة للنّازية التي اقتادت أهله للمحتشدات، حتى اتهم بمعاداة السامية، لكنه لا يجدها للآرابيين، ينتقم ضد كل من لا يشبهه، لكنه أيضا منفذ أوامر أعمى، مولع بالقوة وبرى في بيغ بروذرقدوته الدّائمة».[1]

اضطر هذا العنصري إلى إجراء عملية جراحية بالغة التعقيد، بعد فشل سابقاتها، «يقولون إنه يوم فقد رجله وذراعه في الرمادي بسبب انفجار صهريج الشاحنة المحملة بالنفط، فقد أيضا الذّكر والخصيتين»[2]، وضع شروطاً صعبة قللت من نسب نجاحها «فقط اشترط أن لا يكون العضو المزروع لشخص عربي أو أسود كيفما كانت ديانته، وليست به أية علامة ختان على الطريقة الإسلامية تحديداً»[3]هذا التعالي والفوقية مرجعة التمايز المطلق الذي منحه الغربي لنفسه تجاه الآخر. «هو التمايز الذي يمنحه الحق الأخلاقي لاختراق الآخر بحجة تخليصه من وحشية ووثنية وهامشية، فيعمل بشكل منهجي ومقنن على تشويه الحالة الإنسانية لذلك الآخر.»[4]

لقد قصد الكاتب أن يفقد ليتلبروز رجولته ومن ثم الفحولة، أن يكون مخصيا عاجزاً عن المتعة والإنجاب عقيما، قصد الانتقام من حضارة الآخر الهمجية، للقضاء على دورتها الحياتية وإبطال استمراريتها، إيذاناً بالفناء والانقراض، لِوَأْدِ الشر والدكتاتورية.

---

(*)- نبيتوموسو ليني (29 يوليو 1883-28 أبريل 1945) ديكتاتور ايطالي (1922-1943)، عمل رئيسا لدولة ايطاليا ورئيساً لوزرائها وأحيانا وزير الخارجية والدّاخلية، من مؤسسي الحركة الفاشية، لقب بـ الدوتشه (IlDuce) أي القائد انشق عن حزب العمال الوطني بسبب معارضة الحزب الدخول في الحرب، أسس وحدات الكفاح النواة الأساسية لحزبه، شارك في الحرب العالمية الثانية مع دول المحور، أعدم في ميدان "دونجو" -----بميلانو على يد الشعب الايطالي عام 1945

.ينظر موسو ليني/ttp//ar.wikipedia.org/wikihيوم/12مارس2017 الساعة21.29

(1)- الرواية، ص 159.

(2)-المصدرنفسه ، ص 157.

(3)- المصدر نفسه ص 242.

(4)- رزان محمود إبراهيم، المؤشر الاستعماري في الكتابة الأدبية، ايقاعات متعاكسة تفكيكية، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة البتراء الخاصة،

**رابعا:-الآخر المفكك وصراع المصالح:**

يحدث أن تتعارض مصالح الدول الفاعلة في النظام العالمي، حين يسعى كل طرف إلى تحقيق أهدافه، متجاهلاً الطرف الثاني القوي، ينجر عن هذا الفعل ما يعرف بالصراع الدّولي الذي يعكس عدم التوافق والتناقض في المصالح المادية التي تتمحور عادة حول رسم الحدود الجغرافية أو تقوية الاقتصاد أو السيطرة على الحكومات، كما قد يظهر في شكل صراع حول مصالح، وقيم غير ملموسة تخص الجانب الديني أو العرقي أو الأيديولوجي. قد يتطور هذا التناقض إلى الصدام والصراع بين القوى الضاغطة على المراكز اتخاذ القرارات داخل الهَرَم السياسي بدافع تحقيق مجموعة من الأهداف، ولعلّ رواد الصناعة العسكرية على رأس المستفيدين من هذا التوتر، لذلك سعى الإنسان إلى تطوير كل وسائل القوة والإبادة وتنمية وسائل الدفاع عن النفس ضد كل من يختلف عنه مؤمناً بفكرة «أن العدّو إذا أردت أن تدمّره إمّا أن تمحوه أو ترجعه إلى بدائية الأولى، البدائية فيها متعة أن ترى البدائي يقتل أخاه على لقمة خبز أو الاستيلاء على أرض لا تنجب إلاّ الرّمال والرّماد، أو يقاتله من أجل مصلحة ميتة »[1] فالقوي هو من يفرض سلطانه ويكون أقل تعرضا للتهديد.

لقد صوّرت هذه الرواية الصراع بين الآخر وأبرزت مختلف دوافعه ومنطلقاته، وبيّنت أشكاله العديدة، إذ انقسم عالم الآخر إلى حلفين قويين: «حِلف أميروبا بكل قواعده في مضيق هرمز والبحر الأحمر، وحلف إيروشينا الذي استولى نهائيا على كل ضفاف بحيرة قزوين وبعض ضفاف المتوسط»[2]، موقع أميروبا مهم جداً وحيوي يمكن من التحكم في جزء كبير من حركة النفط العالمي، لذلك توحدت الفيدراليات الأوروبية وأمريكا وإسرائيل تحت لواء حلف أميروبا، أما حلف ايروشيناأوروشينا فهو يضم كلاً من روسيا والصين وإيران وهو: «عبارة عن تكتل جديد فرضية المصلحة الطاقوية لحماية آسيا الكبرى والصغرى ومنابع النفط التي أصبحت مهددة من طرف حلف أميروبا، في بحر قزوين

(1)- الرواية، ص 439.

(2)-المصدر نفسه، ص 266.

الـذي تتقاسـمه روسـيا وإيـران وبقايـا الـدول المحيطـة التـي بـدأت تتفتـت، كازاخسـتان وتركمانيتان وأذربيجان، وتستفيد منه الصين بشكل كبير».[1]

ففي عالم الفوضى ومعضلة الأمن تتوجه الدول إلى تقوية قدراتها الذاتية الدفاعية وتعزيز أمنها الدّاخلي والجماعي لمواجهة الدول الأعداء، هذا الظرف يفرض وضع استراتيجية أمنية، وضبط مخططات طويلة المدى أهمها الدّخول في تحالفات وتكتلات دولية لزيادة القوة العسكرية وتحقيق المصالح الوطنية والقومية وبسط النفوذ ،ولعلّ العلم الموحد تمثيل لسياسة الكل للواحد والواحد للكل، سياسة القلعة «ينتظم فيها عساكر القلعة في ساحاتها الأربع، لرفع العلم الأمريكي وعلم فيدرالية أوروبا الذي أصبح يشبه العلم الأمريكي بألوانه الرئيسية، الأحمر والأصفر، والأبيض والأخضر، والمسافة الزرقاء التي وُضعت فيها نجوم بعدد الدّول المنخرطة في الفيدرالية الجديدة التي نشأت على أنقاض اتحاد مغلق».[2]تتحكم في هذه التحالفات دوافع جيوبوليتيكية، فكل دولة قوية تسعى جاهدة للاستيلاء على المواقع الجيواستراتيجية بالبحث عن مجالات جغرافية حيوية، برية أو بحرية لتوسيع مناطق نفوذها، أو إيجاد أسواق رأسمالية لتسويق منتجاتها، أو بهدف تصفية الخصوم، وفرض هيمنتها.

ولإنجاح هذه المخططات الامبريالية كان لزاماً زرع الفتن والتمزقات الداخلية في جسد الوطن الواحد أو الأمة، لذلك سارعت الدول العظمى الأورو أمريكية إلى إذكاء الصراعات الطائفية والعرقية الأثنية والدينية، فانفجرت الحروب الأهلية، حروب الانفصال «أوروبا كانت قد تمزقت ولملم أطرافها بقوة حلف أميروبا نهائيا، بلجيكا كانت قد أصبحت كانتونات متفردة ومنفصلة وعدائية وسويسرا وألمانيا القديمة انفجرتا وتغيرت المساحات والحدود إذْ انضمت الكثير من الدول السابقة لتكون وحدة جرمانية، بعض المقاطعات الفرنسية وما وراء البحار بدأت تتململ مطالبة بالانفصال، ... إيطاليا لم يعد بين شمالها وجنوبها أي اتصال، إلا خيطاً رقيقا يكاد لا يرى، ووطنيات ضيقة تكاد تتحول إلى

(1)- المصدرالسابق ، ص 240.

(2)-المصدر نفسه ص 51.

ضغينة ضد تاريخها مثل اسبانيا التي انفصل جزؤها الشمالي نهائيا... اختارت أوروبا نظاماً فيدراليا وعممته»[1]، حُمّى الانفصال واستقلالية الأقليات وإعادة ترسيم الحدود داخل إقليم الدولة الواحدة مسّت أمريكا أيضا، فقد أصابها التفتت الدّاخلي «الكثير من الولايات أصبحت لها حريات أكبر، الحق في اختيار نظامها الداخلي وجيشها، لكن هذا لم يمنع الصدمات التي زادت بقوة بين القوميات الثلاثة المكونة لها، الأوروبية، الإفريقية، و اللاتينو.المال المتدفق ما يزال يمنح أمريكا فرصة تفادي المخاطر الانفجار النهائي»[2]، الخراب الذاتي والتدمير الدّاخلي أصبح حتمية حقيقية، طريق تسير فيه البشرية نحو حتفها، فقد محيت الكثير من البلدان من الخارطة العالمية بعد فشلها في الصمود والحفاظ على مصالحها وشعوبها.

استبعاد الحلول السليمة وتسابق الدول نحو التسلح واستعراض القوة العسكرية، مدّد مساحات الظلم فبادرت الدول إلى إثبات الذات، وفي ظل التناقض بين الإيديولوجيات وصلت الضغائن إلى أقاصيها، كان ذلك مؤشرا على بداية سقوط الإمبراطوريات الكبرى وعلى تصدع صرحها «الاتحاد الأوروبي تمزق إلى فدراليات داخلية محكومة بالأنانيات الوطنية والعرقية أكثر منها الإنسانية، ألمانيا تحولت إلى كيان جرماني يشمل ألمانيا وكل البلدان المحيطة بها جزء من إيطاليا تمدد نحو سوسيرا وكندا انقسمت ديمقراطيا كما شاءت دائماً. أوروبا الشمالية عادت إلى عهد الفيكينغ، روسيا استعادت كل القياصرة ومنطقة الكريمي وجزء من أوكرانيا وتسير منطقة البحر القزويني. بين كل بلد وبلد حائط، وبين كل سياج وسياج حائط غير مرئي، كل شيء تفكك».[3]هذه التقسيمات التي مست عالم الآخر تثبت أن الإنسان لم يتطور في جوهره، وأن البشرية لم تتعلم شيئاً من الحروب التي عصفت بها، فلا يزال الإنسان يدمّر نفسه بنفسه ويزداد إجراماً، فهذا الأخير امتدت صولته لتشمل لغة والدين والمقومات الثقافية والهوية الخصوصية، فقد اخترعت الدول

(1)- المصدر السابق، ص 49-50.

(2)- المصدر نفسهص 50.

(3)- المصدر نفسه ، ص 247.

المسيطرة عالميا لغة شمولية الأورو لينغوا «التي هي مزيج من اللغات الأوروبية التي بدأت تموت أو أن أجزاء كثيرة منها ماتت، تعتمد اللغة الانجليزية والأمريكية كأساس، وبعض المفردات اللاتينية التي لم يستطع أحد أن يقاوم سلطانها»[1].

حاولت بعض الفيدراليات مقاومتها والحفاظ على لغاتها الأصلية القومية لكنها فشلت في نهاية المطاف وتبنت هذه اللغة لغة رسمية «بعض الفيدراليات الأوربية التي أظهرت غيرة ما على ما تبقى من لغاتها القومية القديمة سرعان ما انصاعت لأورو لينغوا، حاولت جاهدة إصدار القوانين المقاومة وتنظيم القواميس المضادة، ولكن كل هذه الجهود كانت بلا جدوى فتم في النهاية تبينها كلغة رسمية على. مضض. في كل الفيدراليات الأوروبية».[2]

أدرجت الأديان أيضا في حلقة الصراع، فقد اضطرت الكثير من العائلات إلى تغيير معتقداتها الدينية تحت سيطرة الأغلبية القاتلة المتعصبة، اضطهدت البروتستانتية وأبيد معتنقوها نهائياً منهم جَدُ الميجر توني الذي كان رجل دين مؤمن «من عائلة بروتستانتية أبيدت عن آخرها في وقت الحروب الدينية، واضطر تحت عقدة الأغلبية القاتلة إلى اعتناق كاثوليكية لم يكن مؤمناً بها»[3]، الإساءة للأديان السماوية وتسليحها بالدّم والخوف والموت عجلت في قطع الصلة بها نهائيا، أو بالتظاهر بها تارة، وأخرى بتبنيها والاستسلام لها، على عدم الإيمان بها حفاظاً على الحياة في ظل التعدي السّافر على الضعفاء فكراً، ديناً، لغة وحدوداً.

**خامسا:- الآخر الشاذ جنسيا:**

يرتدي الآخر عباءة ناصعة البياض، هي عباءة التطور التكنولوجي ليخفي قبحه وبشاعته، فقد سقط عنه قناع التحضر والانسانية وعرَّى تجرّده من الأخلاق السليمة والسلوكيات القويمة عن طريق فعل الشذوذ الجنسي، الآخر مريض نفسيا، مهزوز

(1)- المصدرالسابق ، ص 47.

(2)- المصدر نفسهص 48.

(3)- المصدر نفسه، ص 300.

عاطفيا، يعيش أزمة ذات، فراغ روحي وجفاف عاطفي مادية مقيتة، أَخَلَّتْ بتوازنه النفسي، و أَرْدته إلى مستنقع الرذيلة ودَرَكِ الحيوانية، فصار عبداً لشهواته، أسير نزواته، وميولاته الشاذة، هي صورة الجنديين الأور وأمريكيين اللذين مارسا فعل الرذيلة في الساحة الجنوبية للقلعة، تطرفها أنساهما الرقابة المفروضة على السكان، تم الفعل في العراء مكاشفة وجهراً بالفاحشة «رآهما يقتربان من جديد من بعضهما... استمرا على هذه الوضعية الدقائق طويلة، ثم انتفضا كأنهما يزيلان غبارا التصق بهما، وعادا إلى حجرتهما منتشيين بما فعلاه».[1]وصفهما ليتل بروز بالجرذين تحقيرا لهما ولشناعة فعلهما، لكن الجرذان في هذا الموقف تبدو جميلة حسبه فهي لم تفقد رغباتها رغم قسوة المكان والظروف، موقف بروز يثبت تحرر الآخر جنسيا وقبوله للمثلية الجنسية باسم الحرية الشخصية وحقوق الإنسان ويحمّل الناموس الأخلاقي والفطرة الإنسانية المسؤولية كاملة، فقد قيّدت الإنسان وكبحت جماح عواطفه «الإنسان الذي يضمر كل رغباه ويخفيها باسم قياسات أخلاقية صنعها الأولون لأنفسهم لتنظيم حياة بدائية، فقيدت اللاحقين وكأنها حقائق مطلقة».[2]

الشاذ جنسيا فرد انعدم فيه النضج النفسي والفكري والاجتماعي، فحاد عن المسار الطبيعي، هو شخص مشبع بالتناقضات النفسية لأسباب داخلية وأخرى خارجية «تنتمي الشخصية الشاذة ضمن الشخصية ذات الكثافة السيكولوجية، حيث تتميز بكونها ذات محتوى سيكولوجي معقد. فهي تحبل بالتوترات والانفعالات النفسية التي تغذيها دوافع داخلية، وهي تعاني تناقضات في تركيبها النفسي، تؤدي بها إلى الاستسلام للنزوات والرغبات الدفينة ولهذا فهي تفتقد تناسق الشخصية السوية».[3]

(1)- المصدر السابق ص 21.

(2)- المصدر نفسه ص 21.

(3)- الحاج بن علي، تمظهرات الآخر في الرواية العربية المغاربية، بحث لنيل درجة الماجستير ضمن مشروع: "تمظهر الآخر في الرواية العربية المعاصرة " إشراف عبد القادر شرشار، جامعة وهران، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، 2009،2010، ص 41.

الشذوذ وباء انتشر في مجتمع الآخر، خاصة في الوسط العسكري، والأفظع منه منح الجندي الحق في الاعتراف بشذوذه، فقد «كلّف مؤخراً رجل يعلن شذوذه قائداً في الجيش الأمريكي للمرة الأولى، إذْ أصبح "إريك فانينغ" ثاني أعلى مرتبة في سلسلة القيادة للجيش بعد سكرتير الدّفاع، مُنح الجنود في هذا العصر الجديد إذْناً بالإعلان عن شذوذهم الجنسي، ويقدّر وجود حوالي 65 ألف جندي شاذ في الجيش الأمريكي»[1]

تعرض آدم لتحرش جنسي من أحد الجنود أثناء ركوبه المروحية، كان سكراناً، يتوهم علاقة حميمية مع امرأة «في المرة القادمة أريدك أن تصرخي باسمي لا باسم الله لحظة التجلي الجسدي». [2]ثم توجه بنظراته الشاذة صوب آدم مقهقها «لولا خوفي من ضابط قلعة الزبالة، ومن المارشال، كنت اغتصبت هذا العربي الجميل، الذي يبدو مهما، وشبعت منه في كل الوضعيات جاذبيته لا تقاوم، ورائحة عرقه مغرية»[3]

فالآخر الغربي لم يروي شجعه المادي من سلب ونهب للخيرات، فحاول ذلك بالنيل من إنسانية وكرامة الذات العربية بأرذل الممارسات هاتكا ستْر وقدسية المنظومة الأخلاقية ،بانتهاكات دنيئة تبرز انحطاطه ودونيته وحيوانيته.

تجدر الإشارة إلى أن شخصية الشاذ جنسيا شخصية ثانوية، القصد من ورودها في الخطاب الروائي هو تحقير الآخر الغربي ونعته بالانحلال والتفسخ واللاإنسانية.

**سادسا:-الآخر الضحية:**

يسوى صراع المصالح باستخدام العنف، أين يضيق أفق أفضل العقول فتعجز عن التفكير السليم بدافع التحزب الأعمى، فتكون الحرب مصدر الآلام والفظائع، تخلف ارثاً من المرارة من شأنه أن يجعل أي نهضة بعدها مستحيلة لزمن طويل، تدوس في طريقها كلّ ما يصادفها بلا نوايا طيبة، تدمّر حياة الروح والذّهن في الضباط والجنود، وتخترق

(1)- هارون يحي، مجلة الرأي، "منهج الشذوذ الجنسي"، ع 483367، الأحد 30 أكتوبر 2016.

(2)- الرواية ص 106.

(3)- المصدر نفسه ص 106-107.

كل القيود المعروفة باسم القانون الدولي، وتخرق كل الروابط والأوامر بين الشعوب، فتزرع الكراهية والحقد الضرير، وتمارس الكذب والنفاق المتعمد.

السلك العسكري أكثر البشر تعرضاً للمآسي والويلات، سواء كانوا منضويين تحت رايات القتال مباشرة، أو قادة مخططين ومنظرين، فالضغط النفسي الهائل الذي يتعرضون إليه عصيٌّ عن الاحتمال، يفوق كل الطّاقات.. الجندي عرضة للاضطرابات النفسية الناتجة عن التوتر والقلق، عن ترقب الضربات المفاجئة من العدو، يزيد هذا الهاجس من مشاعر الخوف عنده، يمتد تأثيرها السلبي على دقات قلبه فيزداد خفقانه ويضطرب النوم، وتنتابه حالات صداع مزمن، وضعف في الجهاز التنفسي مصحوب بحمى وغثيان وآلام في العضلات والمفاصل لقد «تعودّ ليتل بروز على أن ينام بنصف عين مثل الديك حتى لا تداهمه صورة الحادثة التي كانت تودي بحياته في الرمادي، التي تعاوده كلما أغمض عينيه بغبارها ودمها وصراخها، فقد فيها والده العسكري، حينما التصقت بشاحنتها سيارة صهريج أودت بحياة الكثير من عساكر، حينما التصقت بشاحنتها سيارة صهريج أودت بحياة الكثيرة من عساكر الشاحنة، ووالده، بينما أصيب هو بحروق من الدرجة الثالثة في كامل جسده ووجهه وانتهى الأمر بِبَتْر يَدَه اليسرى ورجله اليمنى».[1]التشوهات الخلقية، العاهات المستدامة، الوساوس المرضية، وفقدان العديد من الأعضاء البشرية، إزهاق الأرواح البريئة هي من نتائج الحرب المُرَّة، مشاهد الدّم وأشلاء القتلى الممزقة، صور تتتابع على ذاكرة العسكري تقض مضجعه، وتحوله فريسة للكوابيس، شعوره بالعجز يولد فيه صعوبة في التواصل والاندماج مع الآخرين فيختار العزلة «انتفخ من شدة عدم الحركة كأي جنرال من جنرالات العالم الثالث، يعيش عزلة مقيتة، محاط برائحة الكحول والفور مال، الزيوت الطبية، انتهى فيها إلى كره من لا يشبهه، حتى حاجاته الطبيعية بالكاد يقضيها، فقد اختل كل شيء في جسده».[2]

(1)-المصدر السابق ، ص21.

(2)- المصدر نفسه، ص 16.

تتطور هذه الحالات نحو التأزم فيصاب المرء بالارتجاف أو التعرق الشديد ويحس آلاماً على مستوى الظهر أو الجهاز البولي ويكون عرضة لأمراض السكري أو ضغط الدّم « لا شيء تغير إلا بعض الانتفاخات هنا وهناك، المتعلقة بالسن أكثر من ارتباطها بالسكري الذي يعطي لوجهه ملمحاً طفوليا ناصع الحمرة، على الرغم من قلة النوم وانتظامه»[1]، فقد أكد الأطباء أن قلة النوم سبب ل ليتل بروز الرعاش، الحاجة البيولوجية مضيعة للوقت تولد فيه عرق اليأس، هي نوع من العبء. «تركيب الذّكر الاصطناعي للتبول وحده تقتضي مني ساعات من العرق البارد والتعب والخوف من الانسدادات غير المحسوبة»[2]، الأدوية المسكنة هي الحل الوحيد للأوجاع القاتلة خاصة في أوقات نزع العضو للتنظيف ثم إعادة تركيبه «بين لحظة نزع الأنبوب الداخلي الذي يتوغل عمقاً في المجرى البولي وتنظيفه ثم إعادته إلى مكانه، مع الآلام الحادة التي تصحب العملية والتي لا يهدئها إلى شرب القرص المخدر».[3]

ليتل بروز مقعد يتنقل بكرسي متحرك يعيش في الظل ، فلا أحد رآه ماثلا أمامه إلاّ عبر الشاشات يضع حفاظات كم الأطفال، كثيراً ما انساح منها البول «فعرف انه لم يضبط الحفاظة جيدا بالطريقة التي علما له طبيبه ستيف الذي تركه، فسحبها قليلا إلى الأمام، حتى يغطي الرائحة الحادة، ثم عطر المكان من حوله ببخاخ وردي يشبه غرف حفظ الجثث، يزيل كل الروائح الكريهة ولا يبقى إلا رائحته».[4]مشاكله الصحية لا تنتهي فكثيراً ما كان يشعر بآلام حادة في حوضه، لم تعد الأدوية قادرة على تخفيفها، عجزت مثانته عن تحمل الاحتقان تكاد تنفجر «شعر بانهيار كبير لم يعهده في ركبتيه المتورمتين ورجليه المنتفختين في المرة الماضية، قبل العملية بقليل ، أُخذ على جناح السرعة بسبب تجلط كاد أن يصعد إلى دماغه ويتسبب في سكتة دماغية، لن يخرج منها بصعوبة، وإذا

(1)- المصدر السابق ، ص 27.

(2)- المصدر نفسه، ص 28.

(3)- المصدر نفسه، ص 29.

(4)- المصدر نفسه ، ص 38.

خرج لن يكون ذلك بأقل من شلل لقد ثقل كثيراً وزنه وزاد منذ العملية الفاشلة التي لم تأت بجديد سوى أنها حوَّلته إلى مضغة في أفواه من لا يحبه والذين ينظرون موته وانهياره العصبي».[1]

افتقاره إلى المحبة والاندماج مع الآخرين رمى به في مهالك الوحدة، فوجد في الحروب وحدها لذّة وعاملاً مساعداً على إزالة مشاعر الاحتقان النفسي، سلوكياته العدائية البربرية تؤكد تحوله إلى قاتل محترف أصابه جنون القوة وتملكته نشوة الحرية من خلال التحكم في مصائر الناس بقتلهم والتنكيل بهم، هذا الوهم بالانتصار عليهم هو حيلة للتحرر من الكمد العاطفي، بيئة الحرب ظرف مناسب لإطلاق العنان للغرائز الهمجية، تحت شعار الواجب الوطني، سلوكيات وحشية تعكس الانهيار التام للمبادئ والأعراف الأخلاقية «ليتل بروز، رجل كبير أعطى لأمريكا ما كان واجبا عليه. بأخطائه وعنصريته وكرهه للأجناس والدّيانات التي لا تشبهه لكنه اليوم مثل الحيوان قد عاش في الأدغال سيد المكان، ثم فجأة أصبح لا شيء، يملك قوته من ضعف الآخرين وحالاتهم الصعبة»[2]نزوعه إلى القوة والسيطرة والتأليه أفقده إنسانيتة فتوجه إلى تدمير نفسه وغيره وتحول إلى آلة معدنية تتطاحن قطعها يوميا، بصوت بارد كالثلج، وملامح متصلبة قاسية، مجرم لا يرحم لا نفسه ولا الآخرين.

المدنيون هم أيضا ضحايا الحروب، فقد ذاقوا أهوالها وتجرعوا مرارتها، وتكبدوا من الدّمار والمآسي الكثير، فتعرضوا للقتل والقصف والتعذيب، للاغتصاب والتهجير، للخوف والترهيب للجروح النفسية والبدنية المؤلمة، فكانوا ضحايا للاختلالات النفسية والعقلية، والتشوهات الجسمية، خاصة أولئك الذين تعرضوا للقصف بالنووي ،الذي امتدت تأثيراته السلبية إلى أمد طويل ولأجيال متلاحقة «لو رأيت الولادات المشوهة التي ما تزال حتى

(1)- المصدر السابق ، ص 390.

(2)- المصدر نفسه، ص 408.

اليوم، والسرطانات بسبب الإشعاعات والأخطاء في التجارب التي مست ناسا كثيرين إلى اليوم بحروق وإشعاعات خطيرة ، ستنتهي بأصحابها إلى القبور».[1]

لقد خلف النووي الموت والخراب ونشر الخوف والجراح ،ومحى شعوباً وحضارات فقتل أكثر من نصف مليون، إضافة إلى ربع مليون من المعطوبين والمرضى بالسرطانات والتشوهات الخلقية، هذه الكارثة حلّت باليابان، في القصف النووي على مدينتين نغازاكي وهيروشيما، لقد خلفت القنبلة النووية أعداد مخيفة من القتلى في ثواني قليلة «غيمة الدوار التي ملأته حتى خبأته في أعماقها داهمته صور هيروشيما ونغازاكي القديمة، وهي تحرق تحت الكتلة النارية الثقيلة. رأى تلك الغيمة الكبيرة التي تشبه نبتة الفطر عملاقة، محاطة بحلقات وهالات كثيرة، بيضاء ثم صفراء ثم رمادية ثم سوداء. ثم الطلقة التي اخترق لباسها على جلدها، ثم رأى جد أمايا تسوتومويماغوشي وهو يرمى بعيدا عن محطة القطار ككيس من النفايات»[2]، لقد حضر القصفين لذلك عُدّ الإباكوشا[*] الوحيد المعترف به دوليا.

**سابعا:-الآخر المتحضر تكنولوجيا:**

نمتْ القوة العسكرية في الغرب الأورو أمريكي جنباً إلى جنب مع التطور في المجالين العلمي والاقتصادي اللذين خضعا إلى المؤسسة العسكرية والأمنية في سرية تامة، خاصة الأسرار العلمية كالنووي والبيولوجي والفلكي والتكنولوجي الدقيق.

منح هذا التطور التكنولوجي الآخر الحق في الهيمنة على باقي شعوب العالم وإخضاعها لسلطانه، فقد استفاد ليتل بروز من تسهيلات التكنولوجيا ليراقب القلعة، فكل شيء يسير بدقة متناهية وخطة وترتيب محسوم مسبقا، اليد البشرية تمس كل شيء وتهيكله حسب المصلحة، الإنسان سيّد كل شيء تم تعويضه بالآلة وخلق جهاز يراقب الإمكانات التخيلية إذ: «يمكن تصور عقل بديل يراقب ويُرَاقَب، خَلقُ الجيل الجديد

(1)- المصدر السابق ، ص 188.

(2)- المصدر نفسه ، ص 197.

(*)- الناجون من التفجيرين النوويين في هيروشيما ونغازاكي.

المراقب للأحلام وربما تحويلها عن مساراتها، لأنه يمكن التفكير في خلق شرطة الأحلام»[1] لقد تم اختراع أجهزة بالغة الدقة تختبر الأحلام، وتقيس الانفعالات بنا على المعلومات المثبتة في الشريحة -إنسان الشريحة- تعالج هذه الشريحة كل النشاطات الذهنية للأسنان في حالات اليقظة والنوم وتساعد على تفسير الأحلام والكوابيس، ثم تطور هذا النظام ليكون قادراً على قراءة الموجات المخيّة، طبّقت أولا على سائقي السيارات لتحذيرهم من الغفوة والاصطدام، لكنها استغلت عسكريا لغرض الرقابة والسيطرة وتجريد الإنسان من الحرية والإرادة.

كما يظهر جنون العلم ودقته في البرامج العسكرية الافتراضية، الذكاء المطلق للتكنولوجيا، التي يمكنها من أن تخترق الحلم والذاكرة، وأن تُوَجّه حسب الأهداف والغايات العسكرية وتجري لقاءات افتراضية، يقتضي هذا البرنامج «متابعة الشخص المعنى والاطلاع على كل ما أنجزه من حوارات ولقاءات أو التسجيل معه مدة طويلة، حركاته الخاصة والمتكررة أيضا، لباسه، عيوبه، في الكلام، الفيس بوك يمنحها مادة كبيرة واستثنائية، هكذا يتمكن البرنامج من تحديد خاصياته الصوتية الدقيقة لأنها المرحلة الأكثر دقة...نفكر اليوم في شيء أكبر، وقتها لا مشكلة مطلقا وقت المقابلة الدخول في مخ الإنسان ودفعه إلى طرح الأسئلة التي يشاؤها البرنامج، ننجز المقابلة وفق ما نريد نحن»[2] عقدة الاستعلاء والاستقواء الغربية، إلى جانب الخوف من الآخر دفعت الغرب الأورو أمريكي إلى تبني إيديولوجية عمياء أنانية، متطرفة ذرائعية تصب في إنكار الغير وتكبيل قدرته على الانبعاث والتحرر، فقد استأثر لنفسه بمقومات التكنولوجيا الحديثة، وبعصب الاقتصاد العالمي ووسائل الإعلام، واخترق جدار المناعة الأخلاقية والعقلية.، شاشات الرصد والمراقبة التي تطوّق القلعة باستمرار و «أجهزة التنصت الشديدة الحساسية التي يمكن أن تفصح الإنسان في أية لحظة منتشرة في كل مكان، في كل سنة يتم

(1)- المصدر السابق ، ص 245.

(2)-الرواية، ص 256.

تغييرها بأخرى أكثر تطورا وأكثر حساسية»[1] تؤكد تطور الغرب تكنولوجيا من جهة وأعراض الخوف يسكنهم من جهة أخرى.

النووي سبيل التفوق العسكري لذلك طور آدم وفريق عمله من العلماء قنبلة الجيب، واقترح لها مخبر الهندسة العسكرية شكلاً تقريبا نهائياً للتحكم في مساحة قطرها الإشعاعي وفي نتائجها الكارثية هي «أصغر نموذج على وجه الكرة الأرضية لهذا فهو يقدر قوته وفاعليته لا يلوث إلاّ مساحات قليلة جداً من الأرض من هنا أهميته، لم يكن شكل القنبلة كبيراً، يكاد يتجاوز بيضة النعامة بقليل واستعار نفس شكلها، لكن رأسه طويل بعض الشيء».[2]تكنولوجيا الغرب نقمة على الكل لا تخلو من مقومات ربحية استغلالية، تقوم على إيديولوجية لا مكان فيها للآخر، ترتكز على تسميم الأفكار واستعباد الأقوام والسطو على إنسانيتها وتراثها وثرواتها عن طريق التجسس والابتزاز والتزييف تكريساً للتبعية والانسلاخ من الذات والوقوع في فخ التغريب.

يحضر التفوق التكنولوجي أيضا في مجال زراعة الأعضاء البشرية الاصطناعية، فبفضل الكشوفات العلمية بات من الممكن تركيبها على كل الأجسام حيث «تم تطوير السيلكون لدرجة أن أصبح يضاهي مطاطية الأعضاء الإنسانية الحقيقية. كل الخبراء والمعنيون بالمصير البشري، والشركات الطبية التجارية والحربية أيضا تراهن على تصنيع الأعضاء من هذه المواد التي لا يرفضها الجسم البشري»[3] لذلك سيحظى ليتل بروز بعضو مطاطي وفق شروطه ومقاساته دون خوف من آلام الانسداد كلما أقدم على التبول.

لقد وظف الآخر التكنولوجيا المتطورة لتدمير الحضارات وإبادة الحياة وتسميم البيئة بتجاربه الإشعاعية والكيمائية والوبائية على الغيرية ،واتخذها أدوات لاختراق الآخر الضعيف وتشويه كينونته، وتناسى أن التقنية تطور معرفي لخدمة الإنسانية، يقوم على

(1)-المصدر السابق ، ص 133.

(2)- المصدر نفسه، ص 313.

(3)- المصدر نفسه ، ص 242.

أخلاقيات وسلوكيات محسوبة لبناء الذات والصرح الإنساني بعيداً عن العنصرية والتبعية والاستبداد، في إطار الاحترام المتبادل ،انطلاقا من وحدة المصير البشري.

فحروب اليوم أصبحت حروباً الكترونية أكثر منها بشرية، يتحكم فيها مالك الآلة الأكثر تطوراً، وباتت التكنولوجيا عنصراً هاماً في صناعة القوة وإثبات الوجود وفقا للمقولة "من يملك المعلومة يملك القوة".

**ثامنا:-الآخر الإنساني:**

أسهمت السياقات التاريخية ولا تزال في تشكيل صورة الآخر السلبية المشوهة، بما أحدثته من «جراح رمزية ومادية في ذاكرة جماعة ما بالنظر إلى ما يمارس عليها من عنف و حيف وتهميش».[1]يتداخل في تشكيلها العداء المتواصل والممارسات الثقافية والإيديولوجية للآخر، وهو ما ينطبق على صورة المرأة الغربية، فقد درج الكتاب العرب على تسويقها في صورة المومس الباغية التي تركض وراء أهوائها وتنتحر في أجساد الرجال باحثة عن السلام، متحررة من كل الضوابط الأخلاقية، والاجتماعية والإنسانية، هذه الصورة ترسّخت في المخيال الأدبي والاجتماعي العربي «ولا يخفى أن للمرأة رمزية مليئة بالدلالات التاريخية والنفسية والحضارية منذ البداية الأولى للفنون والآداب فالموقف من المرأة موقف من الحياة»[2] والحضارة ورمزاً للمثاقفة.

غير أن رواية: حكاية العربي الأخير قد حررتها من هذه الرؤية المتعصبة المشوهة، ومن القوالب النمطية الجاهزة، ومن علاقة التجنيس بين الرجل (الشرق) والمرأة (الغرب)، هذا النسق الفحولي الذي يبوّأ الرجل العربي مركز السيادة ويبيح له نساء الغرب ليثأر لنفسه وحضارته، بينما تزحزح المرأة الغربية إلى منزلة الاستسلام والتبعية، في علاقة عنوانها الجسد.

---

(1)- محمد الدّاهي، صورة الأنا والآخر في السرد، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2013، ص 155.

(2)- جمال مباركي، الغرب في الرواية العربية الحديثة بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب العربي الحديث اشراف الطيب بودربالة جامعة الحاج لخضر باتنة كليةالآداب و العلوم الانسانية،قسم اللغة العربية وأذابها 2008-2009، ص 203.

لقد عمد الكاتب إلى إيجاد صيغ منفتحة على الغيرية «تتخطى الصور الشائعة للآخر المقولب سياسيا وثقافيا إلى آخر قريب، تقتسم معه الذات فضاء الألفة ذاته».[1]

فالعلاقة بين آدم العربي والمرأة الغربية حاضرة في صورة: أمايا الزوجة وإيفا الحبيبة تقوم على وشائج إنسانية، تحرر فيها الفرد من ذاته بفعل الحب إذ انفتح وجوده على وجود الغير بهذا الرباط المقدس، تُسَيّرها إرادة واعية مُحِبَّةٌ، حريةٌ في الاختيار، وتقبل بالآخر المختلف.

**1--: أمايا الزّوجة:**

لقد كانت روحانية الشرق هي الخيط الواصل بين أمايا (المطر الليلي) وآدم. العربي هي امرأة مفعمة بالقيم الإنسانية، تقدر كرامة الإنسان وتمتنع عن المساس بها، تؤمن أن الآخر إنسان موجود مع الأنا من أجلها وليس ظلها، يابانية الأصل، تعيش سلاماً روحيا مع الأديان، تعتنق البوذية لأن «دينها لا يؤمن لا بالفتوحات ولا الامتداد نحو الأراضي الأخرى، لأنه فردي لا أكثر، مؤمن بانتصار الخير فقط وحماية الإنسان من الموت الحضاري الذي يفرض عليه»[2]دينها الوحيد الإنسانية، نقطة الالتقاء والتوحيد بين مختلف الديانات السماوية والانتماءات العرقية والوطنية والقومية الطائفية، تنبذ التطرف، تتعايش مع الغير من أجل نحت إمكانات حياة أكثر ثراء وتنوعاً وتحضرا في إطار المشترك الإنساني للطبيعة البشرية، لقد ورثت الحبّ عن أمها وجدّها، وعن ثقافتها الشرقية والعالمية المسالمة «أمايا مأخوذة أكثر بموسيقى العالم الكنيسة والثيبتية والهندية القديمة والصينية والكلاسيكية، كل شيء تمسه الذاكرة، تسجنه في أعماقها، تستعبده حتى النهاية».[3]

(1)- شرف الدين ما جدولين، الفتنة والآخر، انساق الغيرية في السرد العربي، منشورات دار الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 2012، ص 208.

(2)- الرواية، ص 300.

(3)- المصدر نفسه، ص 139.

خط القدر اللقاء بين آدم وأمايا وجمعهما المصير الواحد منذ السنة الأولى في جامعة بنسلفانيا، نشأت بينهما علاقة حب بريئة جميلة، سَحَرَهُ تناسقها الخارجي إلى جانب جمالها الروحي، تكامل أغراه ودفعه إلى الانجذاب نحوها «الشيء الوحيد الذي لم أخطئ فيه طوال حياتي هو ابتسامتها، لم تكن تشبه إلاّ نفسها، تخرج منها صادقة...كانت المرة الأولى، لا أدري ما الذي منعني يومها من الإجابة عن سؤال أمايا، هل لأني شعرت أن في عينيها شعلة كبيرة من الذكاء، مع أني كنت أعرف الصوت وكان يسحرني بقوة، أشعر دوماً أن بها شيئاً يسكن بمجرد سماعها وبه دوخة غريبة».[1]

توالت اللقاءات وتطورت العلاقة بينهما في شكل انتقالات مفاجئة يحكمها منطق التجاذب الذي يفرضه التذبذب في الانفعالات والعواطف في كل قصة حب بين رجل وامرأة «فالحب يفرض على الحبيبين بناء عالم مشترك قائم على سيرورة من التحولات في الكينونة والهوية»[2] قائمة على الانفتاح والتلاقح، لا على الانغلاق والتقوقع؛ لقد رآها آدم ناعمة، ساحرة في صمتها وفي هدوءها، محملة بشوق ندي، تقف على حافة الطريق تحت مظلة محطة الحافلات «تُناظِره بلا ملل، تبدو ومن بعيد تحت مظلتها البيضاء ولباسها الزهري، كتمثال تنعكس عليه أشعة الشمس الهاربة... يفاجئها من وراء ظهرها، يغمض عينيها ثم يهمس في أذنها اليسرى: من أنا؟ قولي أي اسم آخر إلا آدم هههه، تتحسس يده، خاتمه الأزرق الذي أهدته له في عيد ميلاده، تتمتم طبعا أنت لست آدم، أنت حبيبي، تفتح عينيها وذراعيه يقبلها، تقبله... ثم يضمها إليه، عصفورة من غيم وندى...».[3]فمنذ اللقاءات الأولى تداخل الانجذاب الفكري بالرغبة الجسدية في أفق رحيب اخترق دائرة الاغتراب وطرح الاختلافات العرقية والعقدية، التقى فيه الجسدان في علاقة حميمية «تذكَّر أمايا وهي تنزع منشفته بهدوء وتتشممه كلما غادر الحمام مثل

(1)المصدر السابق ، ص 140.

(2)- صلاح الدين بوجاه، في الواقعية الروائية، الشيء بين الواقعية والرمز، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1993، ص 50.

(3)- الرواية، ص 43.

حيوان ناعم يحاول أن يتعرف عن ذويه، ليس بالنظر فقط، ولكن أيضا بحاسة الشم، تضحك، عندما يغيب عرقك تصبح شيئاً آخر غير أنت، عرقك هو علامتك معي، ما يغريني فيك هو ليس عطر الفرنسي أو الايطالي، ماعليهش هذه المرة أغفر لك جهلكم بجنوني وشهوتي، في المَرَّات القادمة لن أَقْرَبَكَ بعطورك الفايحة التي لا تعني أي شيء، لأنها تمحو كل آثارك التي تسكنني».[1]

العلاقة بينهما مؤسسة على القبول والتراضي، على الحب والتفاهم، علاقة واعية، متبادلة بين طرفين ناضجين فكريا واجتماعيا، متناغمين يؤطرها «التكافؤ بين كافة الأطراف ومشاركة حرة للجوانب الحياتية على اختلافها بغض النظر عن الجنس والثقافة، إنه يتفق مع رؤية جيمس مارك بالدوين حول التفاعلية في علاقة الذات والآخر التي يشدد فيها على أن: الأنا والآخر مولودان معاً».[2]

أمايا تعني لآدم الشيء الكثير، هي كل شيء جميل في الحياة، بل هي المقياس الذي يحدد به صواب الأشياء من خطأها، ظلت توجهه داخليا نحو الطريق الأسلم كي لا يخسر نفسه، تجتاح خياله وتعرش قلبه، لقد حاول آدم العودة إلى الوطن والاستقرار به، اشترى لوالده المسن مخبزة عصرية وقرّر تسيرها بنفسه بعد أن فشل في ايجاد عمل حسب تخصصه الدراسي، لكن هيهات، أيقن أخيراً استحالة ذلك فصورة أمايا لم تفارقه يوماً، اتصالاتها لم تنقطع، ترجوه أن يعود، أن يجتمع شملهما «عندها رأى عين أمايا المتعبين شعر بأن شيئاً قد انتهى، وآخر قد بدأ، التصق بها طويلاً في المطار، وهو يستمع إلى كلماتها الهشة والمتقطعة: كدت أموت لأني بدأت أصدق أنك لن تعود، لم يقل أي شيء سوى أن رأسه وعينيه وقلبه، ظلوا مفرغين من كل شيء، إلاّ من وجه أمايا التي اجتاحته كموجة محيط في حالة غليان».[3]

---

(1)–المصدر السابق ، ص 378.

(2)– نهال مهيدات، الآخر في الرواية السنوية العربية، في خطاب المرأة والجسد والثقافة، عالم الكتب الحديث، عمان، ط1، 2008، ص 36.

(3)– الرواية، ص 121.

هي مرآته التي يرى فيها نفسه بصدق، بصيص الأمل وشعاع الضوء في عمق الظلمات، لقد تعودا أن يقولا كل شيء، هي مرفأ الأمان الذي يسكن إليه، لقد منحته اليقين والوجود، ومنحها فرحة الأمومة بقمر جميل سميت: "يونا" لقد قصد الكاتب بهذه الثمرة أن يؤكد إمكانية التواصل الإنساني والتفاعل الحي الطوعي بين المجتمعات والحضارات المختلفة والتلاقح الفكري والتناسل الجسدي بما يحقق استمرار الإنسان بالانفتاح والحوار والتعايش وبتجاوز النظرة الصدامية إلى أفق رحيب، هو فضاء التراشح الحضاري في معناه الأشمل، حيث تقترب كل حضارة من غيرها باحثة عن الأفضل في سعي لا يعرف الملل، يتطلع كل طرف إلى ما عند الآخر، بل يتحد به ويفنى فيه.

درست أمايا الطب الإشعاعي، أبوها كان طبيبا نفسيا مختصا في متابعة الحوادث الكبرى كالنووي، وهو مَنْ وَجَّهها لهذا التخصص، طريق خطير، لكنها اعتبرته ترميما لحماقات المولعين بالقوة والقتل، قدّمت كل خبرتها في التسربات الإشعاعية، رفضت بشدة وباستمرار استخدام النووي «كانت صارمة في ما يتعلق بالنووي، سلاح الجريمة بامتياز كما كانت تقول عنه دائما، ربما لأن جرح عائلتها وجدّها تسُونوموياماغوشي لم يندمل، ولن يندمل بسهولة».[1]

امرأة عظيمة حذّرت بلا هوادة من الانزلاق نحو العدم، جهنم السلاح النووي، صدى كلماتها لا يزال يقرع الآذان «أنتم ترمون قنابلكم الإشعاعية ونحن نداوي من أصيبوا بإشعاعات قنابلكم».[2]لم تكن يوما متحمسة لمشروع البوكيت بومب، القنبلة العمياء رغم تقديرها لطموحات زوجها العلمية «يا حبيبي أنا لا أشكك لا في الفكرة ولا في نواياك، الفكرة نبيلة في جوهرها، لكن مؤداها هو المشكل وليس شيئاً آخر النووي أخطر ما وضع بين أيدي إنسان هش وضعيف، ومولع بالقوة والسيطرة».[3]

(1)-المصدر السابق ، ص 82.

(2)- المصدر نفسه، ص 147.

(3)- المصدر نفسه، ص 85.

تساءلت في مرارة: الحياة جميلة، منحت للجميع، فلماذا تسرق من الضعفاء؟، لماذا الدم والقتل؟، أمِلت في أن يعاد بناء الإنسان، بالعدل، بعالم أكثر جمالا وأمنا وسلاما «لنرى الناس بشكل آخر، ربّما كان رهانا صعبا، لكنه ممكن، لنعدل بينهم، بعدما نأتي الأمور الجيدة تلقائيا».[1]تمنت لو يمحى تاريخ البشرية الأسود، كثيرا ما كانت تلعن هيروهيتو امبراطور الجنون كما سميته الذي رفض إعلان بوتسداماختار الحرب، والرئيس الأمريكي هاري ترومان الذي أمر بإلقاء القنبلة النووية ولم يستنفذ الحلول السليمة، امرأة عنيدة، لا تعرف معنى اليأس والاستسلام، خاصة إذا رأت الحق يداس بعنف وبلا قانون «كيف تريدوني أن أنظر لهذه المخاطر وكأن شيئاً لم يحدث، أعتبر نفسي من أحفاد الدكتور شونتار للتعويضات ولو كانت رمزية، لكن لا تطلب مني أن أقبل بالتقتيل الجماعي مهما كانت مبرراته، إما أن يكون الإنسان إنسانا، أو لا يكون.»[2]

السلحفاة شعارها ترى في هذا الحيوان رمزاً للمقاومة، للوقوف في وجه الحروب وأسلحة الدمار الشامل «ليكن العالم هكذا غلط في غلط، أنتم تحرقون الحياة ونحن نعيد زرعها إلى أن تملوا أبدا، شعاري السلحفاة، تطردونها، تسكن بيتها، تطلقون عليها السموم، تتخفى إلى أن تعبر، تفجرون الأماكن، تقاوم لا تستلم لأي موت».[3]

قدّم الكاتب صورة مشرفة للمرأة اليابانية، مستوى علمي راق، انسجام شكلي، إحساس رهف، انفتاح فكري، دفاع مستميت عن الإنسانية باعتبارها جوهر النفس البشرية، مجموعة من القيم الإيجابية تنعكس فكرا وسلوكاً ومشاعرا، ميل فطري إلى كل ما هو خيْر وعدل وصلاح ،محرك أساسي في التعامل مع الغير، رفض للظلم والعنف والخداع والاعتداء على الآخرين بحب يعمر القلوب، يُقِرُّ برُقِيّ الإنسان وقداسته.

(1)-المصدر السابق ، ص 187.

(2)- المصدر نفسه ، ص 279.

(3)- المصدر نفسه، ص 44.

**2- إيفا الحبيبة:**

اللقاء بين الشرق والغرب الأورو أمريكي لم يكن صداميا فحسب، بل كان لقاءاً من الجانب الانساني والثقافي المشترك أيضا، تجسده إيفا كريستوفر، ناشطة في مجال حقوق الإنسان، تترأس جمعية رابطة الدفاع عن حقوق الأجناس الآيلة للزوال، تدافع باستماتة عن سكان آربيا من الظلم والقهر المسلط عليهم والموت المنظم بالحروب، تزور قلعة الموت باستمرار رفقة دريمز وميري الجديدتان، تحمل عريضة فيها مطالب بسيطة يمكن تطبيقها بدون إشكال تتعلق بحقوق المقيمين في قلعة أميروبا، التقت بآدم الغيست مرارا وحاورته في كثير من تفاصيل حياته، فصار قضيتها الأولى، وقفت كل جهودها وخبراتها للدفاع عنه وانتزاع حقوقه «العريضة واضحة ومطالبها دقيقة حرية آدم والتعامل معه كغيست حقيقي حتى يتضح وضعه أكثر، حقه في ممارسة الرياضة في المكان الذي يشاؤه في القلعة، وأن يمنح فرصة رؤية زوجته ولو عن طريق السكايب إذ نعرف أن المكان سري قليلا وبعيد أيضا، وأن يسمح له بتربية حيوان يرافقه، كما طلب هو ذلك»[1] هي السلحفاة حواء التي تذكره بزوجته أمايا، مطلب كهذا حق مشروع وليس صعبا في ظل الوسائل الحديثة المتطورة.

تساءل ليتل بروز سيد القرارات في القلعة عن سر إيفا واستغرب كثيرا «ما الذي يدفع بامرأة شديدة الأناقة والجمال، على الرغم من بساطتها، إلى المغامرة في الصحاري والعقارب والزواحف الخطيرة والمجيء نحو قلعة معلقة في فراغ الأرض في أقاصي الربع الخالي»[2]لقد جابت العالم دفاعاً عن الناس البسطاء: الأجناس أو الكائنات الآيلة للزوال، كما تسميهم وثائق الأمم المتحدة واقتحمت المخاطر والأحوال رغم الثراء الفاحش الذي تنعم به مع زوجها في ستوكهولم وابنيها كيتي وأندرسن «لا أفهم كيف تزج امرأة جميلة بنفسها في مغامرات حقوق الإنسان التي لا قيمة تجنيها من ورائها إلا المتاعب والمخاطر

(1)- الرواية، ص 36.

(2)- المصدر نفسه، ص 37.

الكثيرة على صحتها وحياتها، وزوجها مرتاح في القصر الملكي السويدي، فهو المشرق الرئيسي على إدارة ميزانية القصر، خبير مالي دقيق».[1]

امرأة كبيرة، تقوم بواجبها في ليدرا فيك، الوحيدة التي تفهم آدم، وتقدر أنه إنسان بكل معاني الكلمة، وجودها مرهون بحمايته والاعتراف به كعالم يجب أن يحترم لا أن يهان، هذا الإصرار الكبير منها ضاعف حيرة ليتل بروز، كيف لها أن تدافع عن غريب لا يربطها به أية صلة من قريب أو من بعيد «ما الذي يقود بشراً مثلها للدفاع عن أشخاص لا يعرفون عنهم إلاّ القليل؟ وقد لا يعرفونهم بتاتاً تدافع باستماتة عليه وكأنها من دمه أو قريبة له، أو حتى حبيبة، هي شابة، وهو في عز العمر».[2]

لاحظ قائد القلعة أن بين إيفا وآدم شبه قوي، لكنه لم يستطع تحديده، إنّه التشبع بالقيم الكونية والنزعة الإنسانية والدينامية الحية، التي يمكن الواحد من أن يرى ذاته في الآخرين ويرى الآخر في ذاته، دون الوقوع في المحاكاة الفارغة والتنميط.

أفضت جهودها الكبيرة إلى حصول آدم على جهاز تسجيل صغير، سيغير الكثير من حياته ويخفف عنه ثقل الخوف والضغينة والمجهول، يمكنه من متابعة أبحاثه العلمية «بهذا الجهاز الساحر الصغير الذي يمكنك أن تضعه في أي مكان تشاء، يمكنك أن تتخلى عن القلم نهائياً وتفرغه فقط لخربشاتك العلمية، أو لقصائدك العابرة، التي لا أحد يفهمها غيرك، حتى أجهزة ليتل بروز المعقدة».[3]فرحة آدم بالجهاز لا توصف، امتنانه لصنيعها عظيم، لا يقدر بثمن بدأ يشعر تجاهها بشيء غريب لم يفهمه مزيد من حب هارب زوجته التي انفصلت عنه، وقررا أن يكونا صديقين، وأبوة غائبة يونا التي لم يرها منذ سنين طوال «لا أدري ما أقول أشكرك لا تكفي فيك شيء من بينهما»[4] لقد أعادت لآدم الحياة بملامحها الطفولية المليئة بالنبض، امرأة من عطر الليل وندى الفجر، غارقة

(1)-المصدر السابق، ص 60.

(2)- المصدر نفسه، ص 37

(3)- المصدر نفسه، ص 81.

(4)- المصدر نفسه، ص 55.

في شهوة الألوان، إنسانة بامتياز «إيفا كريستوفر، حبيبتي، امرأة كبيرة في قلبي، صديقة جميلة»[1] واثق من أنها ستعود إلى ابنيها وزوجها ولارس، لكن مصيرها العائلي على وشك التفكك، لقد طلبت الطلاق.

صداقته بإيفا وميله نحوها يوضح فقره الدّاخلي وشوقه للحب وللزوجة، عوّضت إيفا المرأة بما تعنيه من حب وجنس كعنوان للفاعلية ومواجهة برودة الحاضر، لقد تورط في حبّها ،سِحرُ بجاذبيتها وبجمال روحها، وبملامحها الرقيقة «كأنها منحوتة بإزميل فنان إيطالي من الحقبة الباروكية»[2]، لقد أصبحت جزءاً من ذاته، لا يتصور وجوده بدونها، شيء في داخله يدفعه، نحوها بشدة إليها، علاقة ايجابية مشدودة بروابط انسانية، لا يتحكم في منطقها ارث الماضي التاريخي بما يحمله من عنف وتصادم.

لقد أزاح الكاتب العنف الرمزي الذي طبع الرواية الحضارية وكسر النمط الفحولي القائم على تسليمه بأنه العلاقات بين الأمم والحضارات هي كالعلاقة القائمة واقعا بين الرجل والمرأة علاقة قوة وتحكم وسيطرة وبالتالي استلام ورضوخ ومعاناة فلم تعد المرأة وعاءً سلبيا، ولا عاد الجسد الذكوري موضوع أسلبة.

فالرواية تشكل في هذا الجانب تحولاً في تمثيل الآخر من العلاقات المجنسة إلى العلاقات المؤنسنة، تحولت الصداقة بينهما إلى علاقة حميمية خارج المؤسسة الشرعية على أساس الامتلاء الروحي ولإشباع التوازن النفسي والجسدي، جمعهما الجوع والعطش و العزلة، الخوف من الآتي، بدأت تتصيد الفرص لرؤيته وتتردد على القلعة، لقد جاءتها بهدف الحصول على توقيع المارشاللیتل بروز ووجدتها حجة مناسبة للقاء آدم الذي كان يركض بسرعة في المدرج «عندما اقتربت منه تلاشت عليه، رست بنفسها إلى صدره، ضمها بقوة تحت المطر الذي زادت قوته ورعوده، أغمض عينيه...التصقت به أكثر، القبلة التي خطاها المطر والرعود استمرت طويلة، يااااه كم افتقدتك حبيبي كنت خائفة

(1)المصدر السابق ، ص 349.

(2)- المصدر نفسه ، ص 39.

أن أموت ولا أراك... دفنت رأسها طولا في صدر آدم، كأنها تريد أن تتنفي فيه»[1]. قطعت لأجله المسالك الخطيرة في صحراء الموت، قادها الشوق نحوه، اتجها مباشرة إلى الغرفة أين قضينا ليلة حميمية، أذابا فيها الأشواق وغابا في عمق اللحظة وسكرها، تبادلا أحاديث الحب وباحا بمكنوناتهما «استمتعا بلحظة اشتهيتها معك، أنا أحبك، لو خيّرت بين أن أبقى أو أذهب، كنت تركت كل شيء وبقيت معك في هذا القفر.».[2]بادلها آدم الاعتراف نفسه «إيفا، لا أعرف حقيقة ماذا أقول، لكني أحبك، لا أدري كيف تنظرين إلى هذا، أحيانا ينتصر خوفي عليك على كل شيء، حقيقة أصبحت أفكر فيك كثيراً وأخاف من كل ما يحيط بك من مخاطر، لكنه خيارك الواعي العميق»[3]

لقد منح حب آدم لإيفا القوة لتواصل عملها الإنساني، ومنحته الأمل في الحياة في قلعة لا شيء فيها سوى التكرار المميت، الخوف والعدمية، لقد أعادته إلى مشروعه التي ظنّته سلميا، سينفع به البشرية ويقلل من المظالم والغطرسة، شجعته على الاستمرار فيه، دفعته للتفكير فيه بقلبه وضميره، علّه يخفف مأساة الآرابيين «أنت هنا أمام مآسي البشر التي تكبر كل يوم قليلا، المشردون العابرون الذين رأيتهم، من سرق حرياتهم وراحتهم؟ مجموعات القتل والجريمة هي التي قادتهم نحو هذه المأساة الحارقة ماذا لو وجدوا رحمة عند أنصار الموت، الحق ليتم حمايته يحتاج إلى قوة رادعة وليس ظالمه»[4]

إيفا مؤمنة بما تقوم به، تناهض سياسة ليتل بروز وشياطين الموت، قتلة التنظيم المعتوهين الذين يتحكمون في حياة البشر، اختارت طريقها واستعملت كل ما في وسعها لمساعدة سكان أرابيا، تمنت أن تنتمي إليهم، حبها لآدم هو السبب «اخترت أن أبقى هنا، وربما أموت هنا، مع أناس لا يعرفونني ولكنهم وضعوا كل حياتهم بين يدي»[5]، ساعدتهم في الحصول على الأدوية والماء، تتعاون معهم بشكل سرّي، فقد استطاعت بفضل تعاون

(1)-المصدر السابق ، ص 228.

(2)- المصدر نفسه ، ص 236.

(3)- المصدر نفسه، ص 236.

(4)- المصدر نفسه، ص 83.

(5)- المصدر نفسه، ص 365.

مهندس مائي وبعض سكان المنطقة أن يخلقوا تمديداً مائياً تحت الأرض يمتد من السد إلى البيوت العامرة، يجري فيه الماء في القصب المفرغ من الدّاخل، عملوا في الليل خصوصاً، بعيداً عن الرقابة المفروضة «كل ليلة نحفر حتى وصلنا إلى خلجان الوادي حيث يتدفق السد، وربطناه مع بقية القصب فجأة أصبح الماء يسيل إلى بيوتنا، نملأ ثم نغلق العين شيئاً فشيئاً بدأنا نغرس السلاطة والطماطم والبطاطا وكل شيء يعطي محصولاً سريا كبيراً التربة كنا نأتي بها بالقرب من الجبل البركاني».[1]

علمت إيفا بشأن تجارة الأعضاء البشرية لبؤساء آرابيا فبعثت بوثيقة إلى الجمعيات المعنية في وزارة الدّفاع والى أسطول البحر الأحمر ومضيق هرمز باسم مستعار تنبههم فيها إلى الصفقات المشبوهة التي تتم عند بوابات القلعة، دعّمتها بوثائق سرية وأدلة قطعية تؤكد فيها بشاعة الجرم في حق الآرابيين فهم مستهدفون من طرف التنظيم ومافيا الرُّحل وأطباء القلعة وقادتها المجانين. ما يحدث في هذه الحرب لم يحدث في سابقاتها في أي مكان آخر، فالآخر يضع أبشع صورة له، إنه يشكل خطراً على الإنسانية والحياة كلها، أجناس محقت وأقوام نسفت وضحايا بلا حدود، التفجير التجريبي للقنبلة لم يكن بعيداً عن السد والوادي، لقد عصف بأعدادها هائلة من المهجّرين المدنيين، لم يعرفوا أن المنطقة عسكرية، كانوا ضائعين، جياع، لا أحد يهتم لهم، عُرضة للموت اليومي، رائحة الكبريت وصلت للنخيل فجردته من أي حياة، هذه الكارثة دفعت ايفا إلى مراسلة آدم بسرية، برسالة طلبت منه حرقها بعد قراءتها، حذرته من مخاطر النووي وتأثيراتها على المنطقة وأهلها وطالبته بإعادة حساباته وأخذ الحيطة والحذر، قد يختطف أو يقتل، وفي الوقت ذاته أكدّت حبها له ووفاءها، ورغبتها في اجتماعه بأسرته «أنت حبيبي، وقلبي منحته لك بلا أسئلة، ومن واجبي أن أحدثك بصوت عالٍ، احذر على نفسك، وحافظ على أمايا إذا كتب لكما اللقاء وإذا تمكنت من الخروج من تلك القلعة الصعبة، أنت عالم نووي شاب، مما يجعلك قنبلة موقوتة، هناك فوائد كبيرة لاختطافك ولكن أيضا فوائد أكبر لقتلك،

(1)- المصدر السابق، ص 233.

أنت في القلعة محمي، لكن احذر، لو كان عندي أية وسيلة اتصال بأمايا ويونا: لقلت لهما: أضع حبيبي بين أيديكما فلا تتركانه أقول بلغة أجدادك: نحبك نموت عليك ياعمري».[1]

إيمانا منها بسلطة الإعلام، ودوره في تحريك الرأي العالمي، وتغيير مسار الأحداث، وكشف الحقائق استعانت إيفا بقناة سي.بي.إس لتنقل الواقع المرير لصحراء الربع الخالي ومآسي شعوبها، لقد تركت رفاه الحياة ووقفت بجانب بؤساء خسروا كل شيء حتى إنسانيتهم «نسيت أن أقول لك إذا كتب لك أن تشاهد قناة سي.بي.إس، إنهم يحضرون لحصة عن السد وعن الآرابيين والجهود التي تبذل للخروج من الضائقة، انتهينا من التحضير ولم يبقى إلا بدأ التسجيل قريباً»[2] وتشاء الأقدار أن تكون يونا هي الصحفية مُعِدّة الحصة، حُلم آدم تحقق لقد كبرت بسرعة، صحفية في أكثر الأماكن قسوة وظلما.

إيفا مثال للنبل الإنساني، للشخصية الحضارية، للتعاطف الكوني الذي يعزز أواصر التواصل بين الأنا والآخر بغض النظر عن معتقده وجنسه، بعيدا عن النظرة الاستعلائية والعنصرية، هي صورة للآخر الحيوي الذي صار جزءاً حقيقيا من الأنا العربية، الآخر الشريك في صنع الحضارة الإنسانية، الذي تجاوز، النظرة الضيقة وتحرر من ذاته، مشبعة بالدلالات الإيجابية التي تؤسس لمشاعر الأمان والود بين البشر، وتكرس لثقافة الحوار « فحين يمتلئ قلب الإنسان بالإيمان يستطيع أن ينبذ التعصب والكراهية، ويمارس في حياته انفتاحا على الآخر، عندئذ يحلق في آفاق الموضوعية التي تسمح له أن ينصف ذاته والآخر معاً».[3]

امرأة شجاعة، وقعت وثيقة تتحمل فيها المسؤولية الكاملة إذا وقع لها أي مكروه، جهودها في إطار العمل الإنساني لمنظمات حقوق الإنسان خففت بعضا آثار الجروح

(1)-المصدر السابق ، ص 367.

(2)- المصدر نفسه ، ص 367.

(3)- ماجدة حمود، صورة الآخر في التراث العربي، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 2010، ص88.

والخيبات، تقوم بأعمال خارقة خاصة للنساء والأطفال العُزْل، أصبحت تتكلم العربية، تستحق كل التقدير والاحترام.

**3- سميث الصديق:**

أخضعت الرواية العربية الشخصية الأجنبية إلى مقادير كبيرة، من التنميط والترميز، تجعل الخروج عن هذا النسق نقطة تحول واستحسان، ذلك لأنها تسهم في رسم صورة موضوعية. متوازنة تنبض بالحياة، بدلاً من التحنط في توابيت الأفكار الجاهزة، صورة تنزع إلى الألفة والتعايش، تمحو الصراع بين المركز والهامش، إنها الصّداقة، هذا الرّابط الإنساني وجد له مساحة في الرواية، حضرت في شخصية سميث غوردن، صديق جميل، بل أكثر، « كان قريبا من روح آدم وربما كان أكثر سكان أميروبا فهما لداخله، رافقه سنوات طويلة قبل أن يمنع نهائيا من زيارة أزاريا، في ثلاث بعثات إلى أرابيا، أزاريا وأربع مقاطعات من أرابيا».[1]

صداقتهما قديمة العهد، تاريخ طويل، يعملان في مخبر بنسلفانيا منذ سنين خلت، وقبل ذلك جمعتهما الدراسة والرّياضة «كان يمكن اليوم أن لا تراني إلاّ على الملاعب العالمية الكبيرة وتقول لأبنائك المحيطين بك: ذاك البطل صديقي، درس معي في نفس الجامعة، وتُخْرج كل صورك ههه، لسوء حظك أنك عبرت العالم لتجد نفسك في قلعة معزولة وجها لوجه معه مرة أخرى، أينما وليت وجهك فثمة وجه آدم صديقك»[2]، بعد طول افتراق التقى الصديقان في القلعة، لقاء مفاجئ لم يتوقعه آدم، ظن أنه سيتآكل ويموت وحيداً في قلعة الموت، جاء من نيويورك، أحيل على التقاعد تم استدعاؤه لمهام عسكرية مادام قادرا على الاستمرار والعطاء، يلقب بكبير العلماء، لم يتغير كثيراً ما زال كما عرفه آدم ، لم يؤثر فيه العمر هو «ليس رجلا عاديا، إذا طلب منه شيئا فهو يدرك لماذا، ثم إنه رجل يعرف الكثير من خبايا الأمور. سميث رجل الحق، يقول بصوت عال

(1)- الرواية، ص 41.

(2)- المصدر نفسه ، ص 155.

ما يفكر فيه»[1]، تشهد مواقفه على إنسانيته، فقد رفض الشعار العنصري الذي وضعه ليتل بروز "العربي الجيد الوحيد، هو العربي الميت"، تدخل بقوة لاستبداله، وفعلا نزع وعوّض بآخر:" من ليس معنا فهو ضدنا"، فهناك دوماً حالات غير محسوبة، موت وخراب، «سميث من الأساسيين في المشروع، فهو أكثر من كونه صديقاً كبيراً، اشتغلنا في المخبر نفسه، فهو شخصية إنسانية كبيرة، نحمل نفس القناعة التي تتخوف من الاستعمالات السيئة لهذه القنبلة، لكننا انتصرنا في النهاية لما رأينا خيراً، ويقلل من التهديدات النووية المدمرة.»[2].

وقف سميث أيضا في وجه التحيز لأزاريا وسياسة الكيل بمكيالين، فشكك في مصداقية القرارات التي تتخذ ضد الدول الممتلكة للنووي «يوم وضع شجار حول توقيع عريضة مضادة لانتشار الأسلحة النووية، لامه بعض أصدقائه على ذلك، قالوا له أنت عالم ولست شيئاً آخر. أجابه سميث، نعم عالم ولكن إنسان قبل كل شيء»[3] حَمَّل أصحاب القرارات المسؤولية أمام التاريخ.

وجد آدم في لقاء صديقه فرصة للإفراغ العاطفي، لاستعادة إنسانيته المسروقة، فالصداقة ماء الحياة، ثقته به لا حدود لها، أفضى إليه بشوقه لأمايا ويونا وحياته الطبيعية خارج .سجن القلعة وقدّر كل مجهوداته لمساعدته «أقدرك كثيراً يا سميث، وأثق فيك بشكل أعمى. أشكرك بحب على وفائك وطيبتك الكبيرة معي، وعلى أنك أخرجتني من عزلة العدمية التي قاومتها حتى اللحظة بالرياضة والتقوقع داخل الذاكرة»[4]، وجود سميث بالقلعة كفيل بحماية آدم من كثير من المشكلات التي تفرضها قوانينها ومضايقات ليتل بروز له: أكدّ له أنه مهتم بأبحاثه وأنه يتابع مستجداته العلمية باستمرار، وحاول إقناعه بضرورة العودة لمواصلة مشروعه النووي قنبلة الجيب التي تمنى أن تكون وسيلة

(1)- المصدر السابق، ص 188.

(2)- المصدر نفسه، ص 293.

(3)-المصدر نفسه ، ص 188.

(4)- المصدر نفسه ، ص 146.

سلام وردع ،أراه كومة من الجرائد تشيد بأبحاثه وترشيحه لجائزة نوبل، هذا الاهتمام أعاد لآدم حيويته وحماسه، فقد ظن «أنها النهاية، وأنه سيقتل هناك في الصمت والعزلة وسيرمى في حفرة أو في بالوعة، أو تأكله القطط والذئاب الجائعة».[1]وجود الصديق .رتق جراح آدم ورَمّم كسره العميق، الذي كاد يفقده الثقة في كل شيء أقنعه بنبل هدفه وضرورة التقدم فيه فبدونه سيموت المشروع، العالم ينتظر منه الكثير، والأهم هو بشرى اللقاء بأمايا ويونا ولو عن طريق الاتصال الصوتي والصوري «الذي يحادثك صديقك الذي يعرفك أفضل من أي شخص آخر، زوجتك ستراها مهما كانت الظروف، أو على الأقل تطمئن عليها وتحادثها، عندما تعود إلى بنسلفانيا يجب أن تنصب لأمايا تمثالاً من رخام في بيتك، وتنحني أمامه كل صباح حتى آخر أيامك، هي التي أعادتك إلى البحث والالتحاق بالمخبر»[2].

لقد انتابته الرغبة في العمل و امحى ظلم المكان، بكل جبروته وقسوته، شعر بجاذبية نحو المشروع بانتشاء كبير، طرح الخوف الذي سكنه، رافقه سميث في كل أعماله وتجاربه، خاصة التجربة النووية الأولى العقرب الأسود، في الحفل التكريمي عقب نجاحها، فقد تلقى آدم التهاني من فريق البحث وكل الطاقم العسكري والخبراء المشرفين على البحث، أشياء تربط بينهما أهمها عائلتان أهم ما ربحا سميث إنسان مرتبط بعائلة لاورا الطيبة، اختارت طريق التعليم، ربّت وحيدها جونتان على الحب والسخاء بكثير من الدلع والأنوثة لكن للأسف لحظات السعادة قصيرة، توفيت قبل ثلاث سنوات، كمداً على فراق ابنها، الذي درس التسيير البنكي، نافراً من كل ما هو عسكري، توفي في انفجار في بناية بورصة في نيويورك في تفجير إرهابي نفذه التنظيم مع مائة وخمسين آخرين، فراغ رهيب خلفه، ترك حزنا كبيراً عند سميث «ماذا منحت لهم سوى غياب مستمر، وموت محتمل يتهددني في كل ثانية»[3] لقد سرقت المخابر والخدمة العسكرية حياته، موت

(1)- المصدر السابق، ص 147.

(2)- المصدر نفسه، ص 162.

(3)-المصدر نفسه ص 214.

وحيده زاد من قناعاته في ردع التنظيم، وإخلاصه لخيارات وحسابات المؤسسة العسكرية ونظامها بكل تجاوزاته، وشاءت الأقدار أن يلقى حتفه على يدي قتلة وحيده أثناء دورية مراقبة، نزل الخبر على آدم كالصاعقة، توفي متأثر بجراحه البليغة وهو يؤدي واجبه الوطني والإنساني، بذل آدم جهوداً كبيرة لحضور الوداع الأخير كابوس قاسي، ضيق يخنقه، رغبة كبيرة في التحول إلى رماد، ألم يمزقه، فقد رفض ليتل بروز الفكرة، بحجة أنه مدني «أكبر أمنيات آدم هي أن يلمس تابوت سميث، ويودعه فقط، بكلمتين من القلب ويشكره على كل ما فعله من أجله في هذا القفر الذي لم يشعر فيه بأية راحة».[1]

خسارة قاسية، لكنها الحرب والمرء لا يملك فيها قدراً ولا يتحكم بمصيره على قسوته، حضّر آدم ملفا كبيراً يحوي صوراً ووثائق تثبت قوة الصداقة بينهما للحصول على وثيقة إدارية تسمح بحضور الدّفن، كان أكثر من صديق «سميث غوردن كان مسيحيا مؤمنا بالخير لكل الناس، ويقول دائماً أنه يجب عدم اليأس من الإنسان بقدر ما يملك طاقة تدميرية تقوده حثيثا. إلى البدائية والحروب، يملك أيضا طاقات داخلية خلاّقة وقوية جداً للتجدد».[2]أمام إصرار ليتل بروز على الرفض، تدخل الميجر توني، وسوّى المسألة، فتمكن آدم من حضور حفل الغوسبيلالتوديعي، سلمه رسالة كان سميث أوصاه بها، كلمات طيبة، اعتذارات، تحوي مفتاحا "USB"، كان سميث ينوي أن يسلمه شخصيا لآدم وأن يشرح له كل الملابسات، شغل آدم جهاز العرض، فارتسمت الصور على الشاشة وتلاحقت المشاهد، صوره في مطار باريس، قدم إليها لزيارة والده في مستشفى فال دوغراس، تُعرض متقطعة، ينهي الإجراءات بالمطار، ثم يخرج ليلتقي أمايا، تفصل بينهما حافلة الخطوط الفرنسية الجوية، بياض، قتلى، رصاص يتطاير، صراخ، فزع الناس، تسقط أمايا في بركة من الدّم، يختطف آدم من قبل رجال تشادو، لم يصدق ما رأى، أعاد المشاهدة، لقد ماتت أمايا بطلق أصابها في الرأس، صرخ بقوة، شعر ببرودة ورعشة، احتراق داخلي، توقف تفكيره ونبضه، هل يحقد على سميث غوردن، أم يجد له المبررات

(1)- المصدر السابق، ص 396.

(2)- المصدر نفسه، ص 415.

في مثل عمله؟، الذي لا يقم أي اعتبار للفرد، ويعلي من شأن الدولة، والقيم الوطنية، والمصلحة الخاصة.

في الرواية نص في ماهية الحب والصداقة، باعتبارهما قيمة شعورية إنسانية بين قطبين مختلفين ترسي قيم التواصل والتلاحم والتقاطب، وتنأى بها عن التكرار التماثل «تندغم فيه صور الذات والآخر برمزية الفضاء المتآكل، وخفوت. الفعل الحياتي، وكثافة الفراغ، والغياب الإنساني»[1].وتتفاعل فيه الغيرية الجنسية بين الأفراد والحضارات، ذلك أن البشرية تنزع بفطرتها نحو الوئام والسلام، نحو الحب والتعايش.

(1)- شرف الدين ما جدولين، الفتنة والآخر، أنساق الغيرية في السرد العربي، منشورات الاختلاف، الجزائر، العاصمة، الجزائر، ط1، 2012، ص 215.

خَاتمة

## خاتمة:

تأتي هذه الخاتمة كنتيجة منطقية لما سبقها من دراسة، أوجز فيها أبرز النقاط التي توصلت إليها، وهي:

1- تعد هذه الرواية خطوة أخرى لفهم الذات والآخر، وتستعرض ثنائية الشرق والغرب، في اطار عسكري وحضاري، وقيمي وثقافي وعلمي و تقني، وتحاول رصد العلاقة بين الطرفين، بشقيها الإيجابي والسلبي.

2- إن صورة كل من الأنا والآخر، لا تتضح إلا من خلال تواجدهما معا، إذ يستحيل أي انتاج للذات منفصلة عن ذلك المختلف المكمل لها، فالهوية لا تتشكل إلا بالتجاور مع الغيرية، فالغريب يسكننا ويقبع فينا، حتى بات نفيه أو قطعه شيئا مستحيلا.

3- استطاع الآخر الغربي أن يتدبر الشرق والعالم، وأن ينتجه سياسيا وثقافيا، عسكريا وعقائديا، اجتماعيا وتخيليا، فقد تمكن من نفي الذات العربية والغائها من الوجود، وتحويلها إلى لاشيء، عاجزة على أن تعيد خلق ذاتها وتكوينها، فحضور الشخصية العربية الفاعل وتماسكها ،يضمحل أمام الحضور القوي للشخصية الغربية، التي سيطرت على الفضاء الروائي مكانا وزمانا وموضوعا ،عدا البطل المحوري المثقف المأزوم آدم.

4- نجاح الغرب في السيطرة على الأنا المختلف، يستند إلى مرتكزات منظمة محكمة التخطيط، علمية وعسكريةو اقتصادية واعلامية، وثقافية، ودراسات في العلوم الانسانية والانثروبولوجيا، ومن خلال تحكمه في الحراك الاجتماعي، وتوظيفه سياسيا، فكوّن بذلك معرفة منحته قوة لفرض النموذج الغربي المثالي.

5- ارتكز الكاتب في رسم تجليات الانا والآخر على التاريخ العدائي بين القطبين، وتأتي نزعة التمركز على الذات والايديولوجية الاستعمارية الامبريالية ضمن أهم أولوياته.

6- تفضح الرواية سياسة الآخر المراوغة ونواياه الاستعمارية القريبة والبعيدة، وتقوض مزاعمه الانسانية، المضللة، فرغم التطور الهائل الذي شهده على المستويات الفكرية والصناعية والتكنولوجية، ورغم التفاعل بين الثقافات والحضارات طوعا أو كرها، إلا أنه بقي أسير نظرة الاستعلاء والتسلط في تعامله مع الغير.

7- يسجل للروائي رؤيته الموضوعية والمتوازنة للذات والآخر، وهي رؤية يسودها التصادم والعداء الحضاري في الغالب، إلا أنها لا تخلو من لقاءات إنسانية، يكون فيها الآخر صديقا أو زوجا، أو حبيبا، ينتفي فيها هوس الانبهار به أو الرّهاب منه، بما يبيح امكانات التواصل بين ثقافات متباينة، يجمع بينها روح الانسانية.

8- انفتحت الرواية على الآخر وعلى الذات، فالانا حين تنظر إلى الآخر، فإنها لا تنقل صورته فقط، بل تنقل صورتها الذاتية أيضا، فمارس النقد الذاتي، من خلال انتقاد الواقع المتخلف للوطن، سياسيا واجتماعيا، ثقافيا وماديا، في ظل غياب الرؤية المستقبلية، فالوعي بالآخر، يسهم في تشكيل الهوية وبلورتها.

9- تتخذ الرواية طابع السرد البوليسي و تتقاطع مع نصوص غربية. عديدة. أهمها، رواية 1984ل جورج أورويل.

وختاما آمل أن يكون عملي المتواضع قد أسهم في الإجابة عن كثير من التساؤلات المطروحة، وأن يجد فيه الطلبة الباحثون ضالتهم.

# ملحق

# ملحق

## 2084، حكاية العربيالأخير

تدور أحداث الرواية في زمن افتراضي مستقبلي هو عام 2084، وهي واقعيا مرحلة ما بعد تنظيم داعش والصراعات الطائفية، في قلعة افتراضية أيضا هي قلعة أميروبا، الواقعة في عمق صحراء أرابيا، بالقرب من سد مأرب، في الربع الخالي، بين مضيق هرمز والبحر الأحمر.

ترصد الرواية الوضع العربي الرَّاهن، حاضر الشعوب العربية الذين طحنتهم الحروب الضروس وجرّتهم إلى التفكك والتمزق ودفعتهم إلى حافة التاريخ، فصاروا شعوباً ضائعة بلا أرض ولا هوية وتحلق في سماء المستقبل، في رؤية استشرافية مأساوية، ديستوبية، تتنبأ بدثور العرب وانقراضهم سنة 2084، إلاّ واحداً، هو البطل المحوري آدم.

يعبر هذا العمل الروائي بجلاء عن إشكالية الحوار بين الحضارات وعسر اللقاء وتأزم وعي الذات، إلى تأزموعي الآخر، فهو فضاء يجمع بين التوثيق المرجعي والحقيقة العلمية والتخييل الفني، وقد أفاد الروائي من توظيف العتبات النصية لإثراء دلالة التعبير عن وعي عميق بالضغوط الراهنة الممارسة على الأمة العربية الضعيفة و المهزومة، الممزقة، في مقابل الغرب المهيمن المتقدم علميا وتكنولوجيا وعسكريا وثقافيا، كما يوضح الرؤية العدائية الغربية، للذات العربية من خلال ربط الإرهاب والتطرف الفكري والمذهبي والعنف الدّموي بالإسلام و أصوليته.

ويعطي صورة للأخر الذي وظّف ولا يزال، استراتيجياته المنبثقة عن مدارس التحليل النفسي، بغرض أسر الوعي و الحراك الفكري للشعوب العربية و المستضعفة عالميا، وحتى المثقفة منها، لينهب ويغتصب ما تبقى من إشراق حضاري، ونبض شرقي، متخذا من أشكال التضليل، والكشوفات العلمية، والاستيطان الامبريالي وسائل لتحقيق أهدافه العسكرية المريعة.

تطرح الرواية بجدية فكرة الإرهاب، وتساءل عَمَّنْ يموله، ويدعمه؟ وتؤكد أنه ليس قدراً محتوماً، بل هوصناعة وخلق، من قبل القوى العظمى؛ الولايات المتحدة وحلفائها، فهي المسؤولة عن التطرف، إذ تمارسه بوسائل شتى: كقتل العلماء، ومحور معالم الحضارات ومسح الإرث الإنساني وتشويه الحقائق، فمن يملك القوة، يملك الحق في السيطرة وإبادة الآخر.

أبطال الرواية شخصيات أوروبية، وأمريكية، قليل منها من أصول عربية ويابانية، تنتسب للسلك العسكري، ومجال حقوق الإنسان.

آدم وهو البطل، عالم في الفيزياء النووية يعمل في مختبر للأبحاث في بنسلفانيا، يشرف على إعداد وتنفيذ قنبلة نووية مصغرة الحجم (البوكيت بومب) أو (القنبلة الجيب)، هو العربي الوحيد من آرابيا الغربية، وقد قصد الكاتب أن يكون آدم عربيا عالما في "صميم الدقة التكنولوجية"، يتعرض لعملية اختطاف في مطار رواسي بباريس التي قدم إليها لزيارة والده الرّاقد في المستشفى، وقد اشترك في عملية الاختطاف تشادو، وهو تنظيم مختص في قتل علماء الذّرة العرب والتنظيم الإرهابي، القوة المدمرة بزعامة الكوربو أو الغراب و (إف، بي، آي) مكتب التحقيق الاتحادي الأمريكي، فآدم أمريكي الجنسية تجب حمايته، سيق آدم إلى قلعته اميروبا وظل أزيد من خمس سنوات سجينا، أو شبه سجين، معزولاً نهائيا عن العالم وأسرته: أمايا الزوجة اليابانية و أيونا ابنته.

أغري آدم بجائزة نوبل، وأخفي عنه خبر موت زوجته أثناء الهجوم في المطار، وأوهم بفكرة أن القنبلة إنما تضع لأهداف سلمية. هي دحر التنظيم الإرهابي الذي تضاعف حظره، مع إمكانية تقليل أضرارها الجانبية على المناطق السكانية وعلى الطبيعة، بعد حيرة وصراع نفسي تحقق المشروع بمساعدة فريق متخصص، يكتشف بعدها البطل حقيقة زوجته بمساعدة شريط بعث له من قبل صديقه الجنرال سميث غوردن

يهجم التنظيم الإرهابي على قلعة أميروبا بعد إخلائها من الجنود، تفجر القنبلة فيها، تدك. حصونها، ويقضى على من فيها ،تمحى فيها معالم الحياة نهائيا، عدا آدم الجريح الذي ينجو بمساعدة الميجر توني على متن طائرة مروحية.

يتخيل واسيني العالم وقد تمزّقَ إلى ثلاث دول كبرى وتحالفات هي:

1- روشيناريا: وهو حلف اتحاد روسيا والصين وإيران.

2- أميروبا: وتضم كلا من أوروبا وأمريكا وقد اتحدتا مع إسرائيل وهي أزاريا وأطلق اسم أميروبا على القلعة الذي يتم فيها التجهيز للاحتفال بمئوية الجد بيغ برودز من قبل ليتلبروذر الحفيد العنصري، الطاغية المتحكم في شؤون القلعة.

3- آرابيا: وهي البلاد العربية المتآكلة التي تعيش ربيع الموت والتي تنقسم إلى:

- أمانيا: مزقتها الصراعات الطائفية والتصدعات الدّاخلية، ودخلت في قتالات عرقية وعقائدية تنذر بالفناء والانقراض.

- تارزا: تقع في الجنوب، عرفت ببناء السدود مثل سد مأرب (ماربا) ، الذي بناه السبئيون، صارت خرابا بسبب القحط والجفاف، يشير بها إلى اليمن.

- إراكا: وهي العراق.

- كياتا: وهي الكويت، التي اجتاحها العراق، فكان صراع الإخوة العرب، الشيعة والسنة والأكراد ثم الحرب على العراق بدعوى محاربة أسلحة الدمار الشامل، التي أعقبت بتصفية علماء العراق وتحطيمها كلياً.

يدخل الآرابيون وإسرائيل صراع المئة سنة، ويتحالف بعض العرب مع آزاريا التي سيطرت على آبار النفط والمحروقات العربية في مقابل ضمان حمايتها لهم، بينما يتراجع الآرابيون إلى بدائيتهم ونظامهم القبلي ويتشتتون إلى دويلات صغيرة متناحرة، لا شك في أنها ستقضي على نفسها بنفسها، إذْ صار العرب بقايا بشر، بلا ذاكرة ولا مستقبل.

فهل تصدق نبوءة واسيني الأعرج؟!! ندعو ألا يحدث ذلك أبداً.

**رواية 1984 لـ: جورج أورويل:**

كتبها الروائي الشهير البريطاني جورج أورويل[1]عام 1948، عنوانها الأصلي "آخر رجل في أوروبا"، لكنه عكس آخر رقمين ليكون عنوانها 1984، وقد دامت مدة تأليفها ثلاث سنوات ونشرت عام 1949.

هي رواية سياسية ديستوبية[2]، يتنبأ فيها بواقع المجتمعات الغربية الحديثة، حيث ينقسم العالم إلى ثلاث دول كبرى هي

أوشيانا: المترجمة إلى (أوقيانيا) وتضم الجزر البريطانية والأمريكيتين واستراليا

أوراسيا: تشمل روسيا وباقي أوروبا

إسيتاسيا: وتتكون من الصين واليابان وكوريا وشمال الهند والاتحاد السوفييتي.

أما باقي دول العالم: الهند، الشرق الأوسط، إفريقيا فهي ساحات حرب ومسارح أطماع بين الدول الثلاثة تقع أحداثها في أوشيانا في مقاطعة ايرستريب التي ترزح تحت نير الحزب الحاكم، وسيطرة الأخر الأكبر الاستبدادي الذي زرع شاشات رصد ومراقبة للشعب، تحاصر تفكيرهم وتراقب تحركاتهم، وبلغ به الجنون إلى حد كبح العواطف الإنسانية الفطرية وتحطيمه العلاقات الأسرية لمنع احتمال ميلاد ولاء لغيره، فالدولة

(1)- اريك آرثر بلير هو الاسم الحقيقي له، صحفي وروائي بريطاني، ولد بتاريخ 25 جوان 1903، في موتي هاري .... بالهند، أين عمل والده، آمن بالاشتراكية الديمقراطية، وعارض الحكم الشمولي، كتب في النقد الأدبي والشعر الخيالي والصحافة الدولية، توفي في 21 جانفي لعام 1950، من أشهر أعماله: مزرعة الحيوانات، ابنة القسيس، أيام بورما، وأشهرها رواية 1984.ينظر M جورج أورويل/https//ar.wikipedia.org//wiki يوم:2017/05/07 الساعة:09:30

(2)-تعني المجتمع القائم على القمع والاستبداد، وهي عكس يوتوبيا، هي عالم وهمي لاخير فيه تسوده الفوضى يحكمه الشر أبرز ملامحه: الخراب القتل القمع. المرض يتحرر فيه الانسان من انسانيته،...ينظر: أدب المدينة الفاسدة/https//ar.wikipedia.org//wiki.

تفرض سلطويتهاومركزيتها على الإنسان وعلى التاريخ إذ تزيف الحقائق وتعيد كتابتها وتمسخ العقول لتخلق التبعية الإرادية للحزب والأخ الأكبر وتحارب الوعي السياسي، وتنشر الرعب، والعنصرية والكراهية، وتتفنن في ألوان السجن والتعذيب والقهر والإذلال ولأحكام القبضة كان لزاماً أن تُدّمّر اللغة، وتوضع أخرى بديلة اختزالية شمولية جافة، يقضى من خلالها على القوميات ويُقَزَّمُ التفكير وتُمْسَخُ العقول.

وينستون سميث هو بطل الرواية يعمل محررا في وزارة الحقيقة وهي وزارة الإعلام، مسؤول عن مراجعة التاريخ وتلفيقه، وقلب الحقائق وتشويه الماضي، دفعه الفضول إلى معرفة الماضي الحقيقي، فشرع في كتابة مذكراته التي ينتقد فيها سياسة الحزب الدكتاتورية الصَمّاء، وهو على يقين أنت حياته في خطر بمجرد أن بدأ التفكير فالتفكير خارج مبادئ الحزب جريمة، «يذكر وينستون أنه قد عايش في طفولته (1949-1953) نشوب الحرب النووية في أوروبا وغربي روسيا وشمال أمريكا، ولا يتذكر بوضوح نتائجها وهي: انتصار الحزب في الحرب، ضم الولايات المتحدة لإمبراطورية بريطانيا وقصف كولشيستر بالقنابل الذرية، ثم الحرب الأهلية والاضطرابات في شوارع لندن أعقبها اعادة هيكلة المجتمع الحالي».[1]

يقترب وينستون من أوبراين، وهو عضو في منظمة سرية "الأخوية" المناهضة السياسة الأخ الأكبر والحزب ومن غولدشتاين قائد الأخوين، يعتقل البطل ويسجن في الغرفة 101 الأكثر ذعراً لإعادة تأهيله، يكتشف بعدها خداع أوبراين أحد عناصر شرطة الفكر، يذاق أشد العذاب ليشفى من جنونه لصالح المنفعة العامة والسلطة المطلقة للحزب، وتشاركه جوليا حبيبته الثائرة في السر التعذيب، أما غولدشتاين فهو في حقيقته خصم إيديولوجي وعدو الدّولة، وهو من اختلاق الحزب وادّعاءاته الكاذبة.

(1)-ينظر: جورج أورويل.1984 https://wikipedia.org/wiki/ يوم12أكتوبر 2016 الساعة19.53

تنتهي أحداث الرواية بانتصار ساحق أمام جيوش أوراسيا على الأراضي الإفريقية، كُلل باحتفالات كبيرة تبارك الأخ الأكبر، الذي عاد إليه وينستون بعد أن أنهى منفاه الاختياري.

بات جليا أن واسيني الأعرج قد استفاد كثيراً من هذه الرواية، إذ سحب على عمله الروائي الأخير:" حكاية العربي الأخير" العديد من تفاصيل وأجواء رواية أورويل، سواء تعلق الأمر بالتسمية، أو الرؤية التنبؤيةالديستوبية، التي تنذر بتمزق العالم، وانقراض أجناس بشرية، العربية خاصة أو ما يخص الحكم الدكتاتوري للأخ الأكبر أبرز شخصيات الروايتين، كما أن الحرب، شبح الموت ورائحة الدّم، خنق الحريات، وفرض الرقابة الجبرية على المشاعر والأفكار، إضافة إلى تزييف الحقائق وتخدير العقول، العنصرية، التمويه، محو التاريخ، اللغة الاختزالية،تشيؤ.الإنسان، القمع، التعسف السلطوي...وغيرها وهي أبرز تيمات الروايتين.

**ترجمة مختصرة للروائي : واسيني الأعرج**

هو واحد من أبرز المؤلفين في العالم العربي و من أشهر الأصوات الروائية في العالم ولد بتاريخ 8 أغسطس عام 1954 م , بقرية سيدي بوجنان الحدودية بتلمسان الجزائرية .

يعمل حاليا أستاذا جامعيا , "و يشغل اليوم منصب أستاذ كرسي في جامعة الجزائر المركزية ,و جامعة السربون في باريس"[1]

للأعرج أسلوب و طريقة في الكتابة تختلف عن الآخرين ,فهو لا يلتزم أسلوبا واحدا ولا نمطا معينا بشكل دائم , تنتمي كتاباته الروائية و القصصية إلى المدرسة الجديدة ,وهو بهذا يخالف الجيل التأسيسي الذي سبقه , " تنتمي أعمال واسيني الذي يكتب باللغتين العربية و الفرنسية إلى المدرسة الجديدة التي تستقر على شكل واحد و ثابت ,بل تبحث دائما عن سبلها التعبيرية الجديدة و الحية بالعمل الجاد على اللغة ,وهزّ تقنياتها, إن اللغة بهذا المعنى ليست معطى جاهزا و مستقرا ,ولكونها بحث دائم ومستمر "[2]

أدرج في الكثير من رواياته و كتاباته تعابير مختلفة و مصطلحات جديدة غير مألوفة " فدائما يجتهد و يبحث عن مصطلحات مستجدة باللغة العربية و يقوم باستخدامها في أعماله فيصبح العمل حي يواكب الأحداث و الوقت الذي نعيشه "[3]

قدّم الأعرج الكثير من الروايات التي لفتت انتباه النقاد إليها ,تدرج في إطار الرواية التجريبية أثارت جدلا واسعا في الأوساط النقدية ,وباتت محط اهتمام واسع من الجمهور كللت ابداعاته الأدبية في مجال الرواية بالعديد من التكريميات و الجوائز لعل أبرزها :

---

(1)واسيني الأعرجhttps://ar.wikipedia.org/wiki/

(2)المرجع نفسه

(3)هدير محمد شخصيات ثقافية "السيرة الذاتية للروائي "واسيني الأعرج " ،المرسال يوم23 ديسمبر 2016 الساعة 9:15 PMwww.almirsal.com/post/426468

1-" تم اختيار روايته حارسة الظلال (La gardienne des ombres) من أفضل خمس روايات صدرت بفرنسا في عام 1997 , نشرت في أكثر من خمس طبعات متتالية بما فيها طبعة الجيب الشعبية (Livre de poche) ,قبل أن تنشره في طبعة خاصة ضمت الأعمال الخمسة .

2-في عام 2001 ,تحصل على جائزة الرواية الجزائرية على مجمل أعماله .

3-في سنة 2006 ,تحصل على جائزة المكتبيين الكبرى عن روايته :كتاب الأمير ,التي تمنح عادة لأكثر الكتب رواجا واهتماما نقديا "

4-تحصل سنة 2007 ,على جائزة الشيخ زايد للكتاب (فئة الآداب).

5-تحصل سنة 2010 على الدرع الوطني لأفضل شخصية ثقافية، من اتحاد الكتاب الجزائريين، وكذلك على جائزة أفضل رواية عربية عن روايته البيت الأندلسي.

6-تحصل في سنة 2013 على جائزة الإبداع الأدبي التي تمنحها، مؤسسة الفكر العربي ببيروت عن روايته أصابع لوليتا.

7-تحصل في سنة 2015 ، على جائزة كتارا للرواية العربية عن روايته مملكة الفراشة."

و قد ترجمت العديد من أعماله إلى لغات عالمية منها : الفرنسية ،الإنجليزية ,الألمانية ,الإيطالية ,العبرية ,الدانماركية ,الاسبانية ,السويدية .....

امتاز الروائي بالإنتاج الوفير و المتميز ،وفيما يلي ذكر للعديد من رواياته : "

1 "-رواية البوابة الحمراء (وقائع من أوجاع رجل ) ،دمشق الجزائر ،1980.

2-رواية طوق الياسمين (وقع الأحذية الخشنة ) ،بيروت 1981

(سلسلة الجيت :الفضاء الحر- Librepoche 2002)

3-رواية ما تبقى من سيرة لخضر حمروش ،دمشق 1982.

4-رواية نوار اللوز ،بيروت 1983 ،باريس للترجمة الفرنسية 2001.

5-رواية مصرع أحلام مريم الوديعة ،بيروت 1984

(سلسلة الجيت :الفضاء الحر- Librepoche 2001)

6-رواية ضمير الغائب ،دمشق 1990 ،سلسلة الجيب :الفضاء الحر 2001.

7-رواية الليلة السابعة بعد الالف :الكتاب الأول :رمل الماية ،دمشق الجزائر 1993.

8-رواية الليلة السابعة بعد الالف :الكتاب الثاني :المخطوطة الشرقية دمشق ،2002.

9-رواية سيدة المقام –دار الجمل- ألمانيا الجزائر 1995

(سلسلة الجيت :الفضاء الحر- Librepoche 2001)

10-رواية حارسة الضلال الطبعة الفرنسية 1996 –الطبعة العربية 1999 (سلسلة الجيب الفضاء الحر 2001 )

11- رواية ذاكرة الماء –دار الجمل ألمانيا – 1997

(سلسلة الجيت :الفضاء الحر- Librepoche 2001)

12-رواية مرايا الضرير ،باريس للطبعة الفرنسية 1998.

13-رواية شرفات بحر الشمال لدار الآداب ،بيروت 2001 ،باريس للترجمة الفرنسية Librepoche 2003)

14-رواية مضيق المعطوبين ,الطبعة الفرنسية 2005

(سلسلة الجيت :الفضاء الحر- Librepoche 2001)

15-رواية كتاب الأمير ،دار الآداب بيروت 2005 -باريس للترجمة الفرنسية 2006

(سلسلة الجيت :الفضاء الحر- Librepoche 2001)

16-رواية سوناتا لأشباح القدس ،دار الآداب -بيروت 2009 .

17-رواية البيت الأندلسي -دار الجمل – 2010.

18-رواية جملكية أرابيا ، منشورات الجمل 2011 .

19-رواية مملكة الفراشة 2013.

20-رواية رماد الشرق، الجزء الأول: خريف نيويورك الأخير 2013.

21-رواية رماد الشرق، الجزء الثاني الذئب الذي نبت في البراري 2013 .

22-رواية سيرة المنهي عشقتها كما اشتهتني ،سلسلة كتاب دبي للثقافة 2014 .

23-وراية 2084 ...حكاية العربي الأخير -المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية – 2015 .

24-رواية نساء كازانوفا -دار الآداب بيروت 2016"[1]

(1)واسيني الأعرج https://as.wikipedia.org/wiki/.

# قائمة المصادر والمراجع

## قائمة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم برواية ورش

**1-المصادر**

1. واسيني الأعرج: 2084، حكاية العربي الأخير المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، موفم للنشر، وحدة الرغاية، الجزائر 2015

**2- المراجع العربية**

1) حسن الضيفة، الآخر في منظور الفكر الغربي الحديث، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1994.
2) عبد الرحمن بدوي: دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت، 1980.
3) عبد الرحمن منيف: سباق المسافات الطويلة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط9، بيروت، 2003.
4) رضا شريف، الهوية العربية الاسلامية وإشكالية العولمة عند الجابري، مؤسسة كنوز الحكمة، الأبيار، الجزائر، دط، 2011.
5) سعد البازغي: مقاربة الآخر، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1999.
6) سعيد علوش: مكونات الأدب المقارن في العالم العربي، الشركة العالمية للكتاب، ط1، 1987.
7) سهاد توفيق الرياحي: ظاهرة الأنا في شعر المتنبي وأبي العلاء، دراسة موازنة مقارنة، دار جليس الزمان، عمان،ط1، 2012.
8) السيد ولد أباه: عالم ما بعد 11 سبتمبر 2001م، الدار العربية للعلم، بيروت، لبنان، ط1، 2005.
9) شرف الدين ما جدولين، الفتنة والآخر، أنساق الغيرية في السرد العربي، منشورات دار الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر،ط1، 2012.

10)صلاح الدين أبوجاه، في الواقعية الروائية، الشيء بين الواقعية والرموز، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1993.

11)صلاح صالح: سرد الآخر، المركز الثقافي الغربي، المغرب، ط1، 2003.

12)عادل فريحات، مرايا الرواية (دراسات تطبيقية في الفن الروائي)، منشورات دار اتحاد الكتاب العرب، 2000.

13)علي العجوة، العلاقات العامة والصورة الذهنية، عالم الكتب، ط1، 1983.

14)فؤاد كامل: الغير في فلسفة سارتر، مكتبة الدراسات الفلسفية، دار المعارف، مصر.

15)قحطان احمد الظاهر، مفهوم الذات بين النظرية والتطبيق، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2004.

16)ماجدة حمود: اشكالية الانا والآخر (نماذج روائية عربية)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2013.

17)ماجدة حمود، صورة الآخر في التراث العربي، الدار العربية للعلوم، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط1،2010م.

18)محمد الداهي، صورة الأنا والآخر في السرد، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2013.

19)محمد عمارة، العطاء الحضاري للإسلام، سلسلة اقرأ رقم 26، دار المعارف، القاهرة 1997.

20)محمود رجب: فلسفة المرآة، دار المعارف، مصر، ط1، 1994.

21)ميجان الرويلي سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط4، 2005.

22)ميخائيل ابراهيم أسعد، شخصيتي كيف أعرفها، المؤسسة العربية اللبنانية للتوزيع والطباعة والنشر،.

23)نادر كاظم: تمثيلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،ط1، 2004.

24)نبيل سليمان، وعي الذات والعالم، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 1985.

25)نجم الدين كاظم، الرواية العربية المعاصرة والآخر، دراسات أدبية مقارنة، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 2007.

26)نهال مهيدات، الآخر في الرواية السنوية، في خطاب المرأة والجسد والثقافة، عالم الكتب الحديث، عمان، ط1، 2008.

**3-المراجع المترجمة**

1) تيرفيثانتودوروف: فتح امريكا مسألة الآخر، تر: بشير السباعي، سينة للنشر، القاهرة، ط1، 1992.

2) رولو ماي، البحث عن الذات، دراسة نفسية تحليلية، تر: عبد العلي الجسماني، دار فارس، عمان، ط1، 1993.

3) سيجموند فرويد،الأناوالهو، تر: محمد عثمان نجاتي،دار الشروق،القاهرة،ط5، 1988.

4) سيزا قاسم، يوري لوتمان وآخرون: جماليات المكان، دار قرطبة، ط2، 1988.

5) ك. هول، ج لندري، نظريات الشخصية، تر: فرج أحمد وآخرون، مراجعة: لويس كامل مليكة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة.

6) كارل غوستاف يونغ، جدلية الانا واللاوعي، تر: نبيل محسن، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، اللاذقية،ط1، 1997.

**4-المعاجم والقواميس**

1) أحمد مختار عمر وفريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، م1، ط1، 2008.

2) بطرس البستاني محيط المحيط مكتبة لبنان، (ط،ج ) ،1987

3) الزبيدي، تاج العروس، تحقيق، ابراهيم الترزي، م عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، ج10، 1972.

4) علي بن الحسن الهنائي الأزوي، منجد اللغة والإعلام، تح: احمد مختار عمر وضاحي عبد الباقي، دار المشرق، بيروت، باب (صوص، صاف).

5) محمد بو زواوي، قاموس مصطلحات الأدب، الدار الوطنية للكتاب، 2003.

6) ابن منظور، لسان العرب، مج4، مادة (أخر).

**5-الأطروحات والرسائل الجامعية**

1) أحمد ياسين السليماني، التجليات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر، رسالة مقدمة للحصول على درجة الدكتوراه في النقد الأدبي، دار الزمان، ط1، دمشق، سوريا، 2009.
2) جمال مباركي الغرب في الرواية العربية الحديثة بحث مقدم لنيل شهادة كتوراه العلوم في الأدب العربي الحديث جامعة الحاج لخضر باتنة كلية الآداب و العلوم الإنسانية قسم اللغة العربية و آدابها( 2008-2009)
3) الحاج بن علي، تمظهرات الآخر في الرواية العربية المغاربية، بحث لنيل درجة الماجستير، جامعة وهران، كلية الآداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وآدابها، 2009-2010.
4) سولاف بوحلايس، صورة الانا والآخر في شعر مصطفى محمد الغماري، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في الأدب الجزائري الحديث، باتنة، 2008-2009.

**6-المجلات والدوريات**

1) أزراج عمر، طقوس بناء الغيرية، جريدة اليومية، الجزائر، العدد 5931، بتاريخ: 10-03-2010.
2) رزان محمود إبراهيم، المؤشر الاستعماري في الكتابة الأدبية، ايقاعات متعاكسة تفكيكية، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة البتراء الخاصة.
3) رواء نعاس محمد: المثاقفة والمثاقفة النقدية (في الفكر النقدي العربي، مجلة القادسية في الآداب والعلوم والتربية، العددان (3.4)، 2008.
4) علي القريشي، حوار الحضارات والحاجة إلى كبح جماع "الهويات المتغطرسة"، مجلة العربي، وزارة الإعلام بدولة الكويت، ع 525، 2002.
5) غسان السيد، صورة الغرب في الأدب العربي، رواية فياض لخيري الذهبي نموذجا، مجلة جامعة دمشق، م24، ع(3.4) 2008.
6) فهمي جدعان، متى تحين لحظة الحوار؟ بحثا عن الإسلام الحضاري، مجلة العربي، وزارة الإعلام بدولة الكويت، ع 518، يناير 2002.

7) ماجدة محمود، صورة الشرق لدى هرمان هيسة، مجلة دمشق، كلية الآداب والعلوم الانسانية، قسم اللغة العربية، م19 (152)، 2013.

8) محمد عبد الله الجعيدي: انتقال التكنولوجيا الحديثة بين خوفين: يقظة الآخر وسطوة القوة، جامعة مدريد 2005.

9)محمد مولفي: الآخر بشكل آخر أو الوعي المضاف، تر: مليكة بن دودة، مجلة أنيس، الجزائر، ع2، السداسي الأول، 2007.

10)هارون يحي ، "منهج الشذوذ الجنسي"، مجلة الرأي، ع 483367، 2016.

11)واسين الأعرج، تنامي ثقافة العدمية على هامش اعتداءات نيس الارهابية، جريدة الأهرام الجديد الكندية،2017.

12)واسيني الأعرج، انهيار الدولة العربية والتفكك المتواتر، مجلة القدس العربي، 2015

**7-الملتقيات**

1) عبد العالي بشير (سيميائية الصورة في رواية عابر سرير لأحلام مستغانمي ) محاضرات الملتقى الرابع(السيمياء و النص الأدبي) 28-29 نوفمبر 2006 جامعة محمد خيضر بسكرة كلية الآداب و العلوم الانسانية و الاجتماعية قسم الأدب العربي .

**8-المواقع الإلكترونية**

1)https://www.aranthropos.com/الاثنوغرافيا-ethnography/

2)https://ar.wikipedia.org/wiki/إثنوجرافية

3)https://ar.wikipedia.org/wiki/أدب المدينةالفاسدة

4)https://ar.wikipedia.org/wiki/أشرفصلاحالدينخليل

5)https://ar.wikipedia.org/wiki/جورجأورويل

6)https://ar.wikipedia.org/wiki/الدولةالأيوبية

7)https://ar.wikipedia.org/wiki/الدولةالسلجوقية

8)https://ar.wikipedia.org/wiki/ روتيرز

9)رويترز، واسيني الأعرج يسحب رواية جوروجأورويل (1984) على
العالم العربي www.youm7.com/story/.../2622527/

10)https://ar.wikipedia.org/wiki/ الظاهرغازي

11)https://ar.wikipedia.org/wiki/عمون

12)عمون، واسيني الأعرج: رواية "العربي الأخير" تستلهم اجواء (1984)
لجورج اورويل بإسقاط عربي www.ammonneurs./article/269347

13)https://ar.wikipedia.org/wiki/كنعانيون

14)https://ar.wikipedia.org/wiki/ محمد باسل سليمان

15)محمد باسل سليمان، المثاقفة تفاعلات واستيعابات، الحوارالمتمدن
www.m.ahewar.org/s.asp?aid

16)https://ar.wikipedia.org/wiki/موسوليني

17)https//ar.wikipedia.org/wiki/واسيني الأعرج

18)هدير محمد: شخصيات ثقافية" السيرة الذاتية للروائي واسيني الأعرج"
المرسالwww.Almirsal.com/post/426468

الفهرس

# الفهرس

**مقدمة ..... أ**
**مدخل..... 6**
**أولا :في ماهية الأنا والآخر: ..... 6**
1- الأنا والآخر في النص القرآني: ..... 6
2- الأنا والآخر لغة واصطلاحاً..... 7
2-1 الأنا لغة: ..... 7
2-2 - الأنا اصطلاحاً: ..... 8
2-3-الآخر لغة:..... 8
2-4- الآخر اصطلاحا:..... 9
3-الأنا و الآخر من منظور نفسي: .....10
3-1-الأنا من منظور نفسي: .....10
3-2-الآخر من منظور نفسي: .....13
4-الأنا و الآخر من منظور فلسفي:.....15
4-1: الأنا من منظور فلسفي:.....15
4-2- الآخر من منظور فلسفي: .....16
**ثانيا:في ماهية علم الصورة (الصورولوجيا)وعلاقته بثنائية الأنا والآخر: .....18**
**الفصل الأول: تجليات الأنا في رواية:2084 حكاية العربي الاخير: .....23**
أولا: الأنا المفكك (الممزق):.....24
ثانيا: آدم-الإغتراب النفسي وجرح الهوية: .....27
ثالثا: آدم المخدوع .....33
رابعا: الأنا المتحضر: .....36
1-في مجال العمران: .....36
2-في مجال النووي .....39

خامسا: آدم _ التفوق الرياضي: .....40
سادسا: الأنا الثقافي: .....41
**الفصل الثاني: تجليات الآخر في رواية 2084 حكاية العربي الأخير .....49**
أولا:- الآخر الاستعماري المدَمِّر: .....50
1-امتلاك النووي: .....50
2-حروب الإبادة وتصفية العلماء .....52
3-صناعة الإرهاب والإسلام المتطرف.....55
4- ازدواجية القيم:.....59
5- عَزْف الوطنية.....65
6- قمع حرية التفكير والتعبير: .....69
ثانيا:- الآخر العدمي اللاإنساني .....71
ثالثا:-الآخر العنصري:.....77
رابعا:-الآخر المفكك وصراع المصالح:.....80
خامسا:- الآخر الشاذ جنسيا:.....84
سادسا:-الآخر الضحية: .....86
سابعا:-الآخر المتحضر تكنولوجيا:.....90
ثامنا:-الآخر الإنساني:.....92
1--: أمايا الزّوجة: .....93
2- إيفا الحبيبة:.....98
3- سميث الصديق:.....104
**خاتمة: .....110**
**ملحق.....113**
**قائمة المصادر والمراجع.....124**
**الفهرس.....130**